سيف الدولة الحمداني أديباً

أ.د. سعود محمود عبد الجابر

أستاذ بجامعة الشرق الأوسط

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/١١/٥١٣٧)

٨١١.٩
عبد الجابر، سعود محمود
سيف الدولة الحمداني أديباً دراسة وتحقيق/ سعود محمود عبد الجابر.ـ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٦ .
(١٢٠) ص
ر.أ: (٢٠١٦/١١/٥١٣٧).
الواصفات: /الشعر العربي//النقد الأدبي/

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هــذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-77-431-8

دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

سيف الدولة الحمداني أديباً

دراسة وتحقيق

أ.د. سعود محمود عبد الجابر
أستاذ بجامعة الشرق الأوسط




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

سيف الدولة الحمداني علي بن أبي الهيجاء بطل من أبطال الأمة برز في القرن الرابع الهجري عندما بدأت أطماع الدولة البيزنطية تتجه نحو الأراضي الشرقية للدولة العباسية طامعة في الاستيلاء عليها وضمها، ومما شجعها على ذلك ضعف دولة بني العباس وتمزقها إلى دويلات ضعيفة وسيطرة القادة من الأتراك على مقاليد الأمور في الحاضرة العباسية حيث وصل بهم الأمر في بداية القرن الرابع الهجري إلى التدخل في تعيين الخلفاء وقتلهم إذا اقتضى الأمر فساعد ذلك على ضعف السلطة المركزية وتمزيق الدولة إلى ولايات مستقلة تخضع للخليفة العباسي بالاسم فقط. ففي هذه الظروف الحرجة التي كانت تمر بها الدولة شاءت إرادة الله عز وجل أن يبرز بطل من أبطال الأمة أسس إمارة في حلب في مستهل القرن الرابع الهجري وتصدى للخطر البيزنطي، فذاد عن الوطن وحمى الديار وتصدى للزحف الرومي في أحرج اللحظات التاريخية التي شغل فيها الحكام بالتطاحن على الملك. فكان سيف الدولة البطل المنقذ الذي قاد المسلمين من نصر إلى نصر. وكان الشعر على موعد مع هذا الأمير فغنى أعذب ألحانه وخلد مآثره وسيرته وبطولاته وتضحياته.

ولقد بنى الأمير الحمداني دعائم مجده على عاملين أساسيين، هما: مقارعة الدولة البيزنطية، والعناية بالعلم والأدب وتشجيع العلماء والأدباء، حيث كان حامي الثغور وراعي العلوم والفنون.

وكان عندما يلتقط أنفاسه من شدة القتال يجمع إليه العلماء والشعراء والأدباء ذاكراً فضلهم، مشيداً بقدرهم، مثيراً لعبقرياتهم مستمعاً لقصائد الشعراء، مصغياً لآراء الأدباء، مبدياً وجهات نظره فيما يحدث أمامه من مساجلات.

هذا وبالإضافة إلى ذلك كان أديبا يتمتع بذوق أدبي رفيع مكنه من توجيه النقد الصائب للشعراء الفحول في عصره، والكتاب المبدعين في زمنه.

ولقد ذكر الثعالبي في اليتيمة أنه كان شاعراً مجيداً، وذهب إلى هذا القول عدد من الباحثين الجادين القدامى مما دفعني لأن أوطد العزم على التنقيب عن شعره، وجمع شتاته، وأن أقوم بتحقيقه ودراسته ولقد تمكنت بحمد الله من جمع عدد من القصائد والمقطوعات تقع في سبعة وسبعين بيتاً. وهو كان مقلا بالفعل من الشعر، ويغلب على شعره الميل إلى المقطوعات القصيرة، بالإضافة إلى أن شعره عبارة عن نفثات وجدانية تعبر عن أحاسيسه وانفعالاته وعواطفه ويمتاز باليسر والسهولة

والموسيقى الشعرية العذبة الجميلة.

ومن هذا المجد أفادت حلب طوق الخلد، ونفثت نهضة علمية وأدبية لم تشهد لها نظيراً من قبل. وحظيت بكوكبة لامعة من صفوة علماء وأدباء وشعراء ذلك العصر.

وفي ظلال هذه المعاني الكريمة المبدعة قامت هذه الدراسة التي آمل أن تكون مثمرة بناءة مصورة للنهضة الأدبية السامقة في ظل سيف الدولة الفارس الأديب والمجاهد المؤمن الذي ذاد عن الأمة الخطر والمصائب والمحن في أحلك العصور. داعياً الله ﷻ التوفيق والسداد.

سعود عبد الجابر

عمان ـ الأردن ٢٠١٧/٧/١٥

الفصل الأول

الحمدانيون

الحمدانيون:

أدت الأسرة الحمدانية دوراً بارزاً في التاريخ الإسلامي، وقدمت خدمات جليلة في الميدانين السياسي والأدبي وتمكنت من إنشاء إمارتين في الجزيرة وشمال الشام استمرتا زهاء مائة عام. وكانت هذه الأسرة ذات نشاط حربي فاق حد التصور وحمى ذمار الدولة الإسلامية من خطر الروم ودقت جيوشها أبواب عواصمهم وتصدت لاعتداءاتهم وأوقفت زحفهم الذي استهدف بيت المقدس قبل الحروب الصليبية المشهورة.

ولم يكن نشاط الحمدانيين في ميدان الأدب أقل شأناً من نشاطهم الحربي فقد خدموا الأدب خدمة عظيمة وكانت قصور أمرائهم ملتقى الشعراء والعلماء والكتاب والفلاسفة فأضحت مراكز للإشعاع الثقافي والفكري في تلك الحقبة الزاهرة بالحضارة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية.

فمن هؤلاء الحمدانيون، ومن أين ينحدرون والى أية قبلية ينتمون؟.

ينتسب الحمدانيون إلى تغلب القبيلة التي كانت تعد من أعظم القبائل العربية شأناً منذ الجاهلية حتى قالوا، لو أبطأ الإسلام لأكل بنو تغلب الناس(١).

فهي قبيلة عظيمة تنتسب إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وتفرع منها فروع عديدة منها بنو حمدان ملوك الموصل وحلب(٢).

واشتهرت تغلب بالفروسية والشجاعة منذ أيام الجاهلية ولذلك وصفت بتغلب الغلباء وجاء في رثاء المتنبي لخولة أخت الأمير سيف الدولة قوله(٣):

وأن تكن تغلب الغلباء عنصرها فإن في الخمر معنى ليس في العنـــــــــــــــــــــب

ولهذه القبيلة يعود نسب بني حمدان ومنها ورثوا المجد والأنفة وتذوقوا الشمم والإباء وأنجبوا الفرسان والزعماء والقادة والرؤساء الذين رعوا الأدب والفنون وحكموا بين الناس بالقسطاس.

ولهذا كانوا يحرصون على مكانتهم الاجتماعية بين الرعية فيتمسكون بالخصال العربية الأصيلة والسمات السامية الحميدة من كرم ونجدة وجرأة وشجاعة وسماحة وأدب ولين عريكة وصدق في المعاملة وحفاظاً على الشرف. كما كانوا يحافظون في أسمائهم أيضاً على تلك المجود التي ورثوها فكانوا يسمون أبناءهم بمهلهل وتغلب وأبى الهيجاء. وقال الثعالبي: «وكان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة

وألسنتهم للفصاحة وأيديهم للسماحة وعقولهم للرجاحة»[٤].

وكانت قبيلة تغلب تقيم في هضاب نجد والحجاز وتخوم تهامة[٥] ثم ارتحل هؤلاء إلى العراق واستقر بهم المطاف في الجزيرة الفراتية التي تعرف بديار ربيعة[٦].

والجدير بالذكر أن المؤرخين والباحثين القدامى الثقات مجمعون على نسب الحمدانيين التغلبي مما يجعلنا نميل إلى القول بأن عروبة بني حمدان عروبة خالصة لا شك فيها. وأنهم ينتسبون إلى جدهم حمدان بن حمدون وفيه تسموا وهو أقدم فرد في هذه الأسرة كان له دور في التاريخ فكأن الأسرة الحمدانية تبدأ به، وكان أول ظهوره على مسرح الحرب والسياسة في أواخر القرن الثالث الهجري عندما استولى على قلعة ماردين سنة ٢٧٤ في عهد المعتضد[٧]. وذلك عن طريق تحالفه مع الخوارج ممثلين في هارون الشاري الخارجي[٨]. وفي سنة ٢٨١ خرج الخليفة المعتضد إلى ماردين قاصداً حمدان بن حمدون وذلك أنه بلغه أنه مال إلى هارون الشاري ودعا له فهرب حمدان من القلعة تاركاً عليها ابنه الحسين[٩]. وفتح الخليفة القلعة ثم وجه خلف حمدان فظفر به بعد عودته إلى بغداد حيث قصد حمدان إسحاق بن أيوب ـ وهو مع المعتضد ـ مستجيراً وأحضره هذا إلى المعتضد حيث أودع السجن[١٠].

وأخذ أمر هارون الشاري يستفحل وخطره يشتد فعجم الخليفة عيدانه فوجد الحسين أمرها عوداً وأصلبها مكسراً فندب بني حمدان إلى حرب هارون فحاربه الحسين حتى هزمه وقاده أسيراً إلى المعتضد فسر الخليفة بتخلصه من عدوه اللدود وخلع على الحسين وطوقه بطوق من ذهب كما خلع على جماعته.

ويذكر المؤرخون أن الحسين طلب إزالة الأتاوة عن بني تغلب وأن يثبت خمسمائة فارس منهم يضمون إليه فأجاب الخليفة مطالبه[١١].

وقد سجل حمدان صفحة مشرقة في تاريخه وتاريخ قومه حيث تصدى لغزو الروم وقيل إنه بنى سور ملطية وأنفق عليه سبعين ألف دينار، قال أبو فراس قال سيف الدولة دخلت ملطية أنا وعمي أبو العلاء سنة ٣١٣ هـ أو سنة ٣١٨ هـ، فقرأت اسم جدي على سورها وقال أبو فراس ودخلتها أيضاً مع سيف الدولة بعد فتحها بعشرين سنة وقد اجتزنا بها على بعض غزواته وقصدنا موضع الاسم فوجدناه مكتوباً. ويفتخر أبو فراس بمآثر جده فيقول[١٢].

أسا داء ثَغْر كَانَ أعيا دَواؤُهُ وَفِي قَلْبِ مَلْكِ الرُّومِ دَاءٌ مخامر

ولقد أصبح الحسين بن حمدان في خدمة الخليفة بعد قضائه على هارون الشاري سنة ٢٨٣ هـ وأصبح الخلفاء كثيري الثقة فيه وتعرضت البلاد آنذاك لخطر القرامطة الذين عاثوا في الأرض فساداً وملئوها رعباً وقلقاً يسفكون الدماء ويستبيحون الحرمات وينهبون الأموال ويقطعون الطريق على الحج فعهد المكتفى سنة ٢٩١ للحسين بن حمدان بمهمة القضاء عليهم مع قواد آخرين، ويحدثنا الطبري عن الوقعة بين قادةالخليفة ومعهم الحسين بن حمدان ضد الحسين بن زكرويه القرمطي الذي سمى «صاحب الشامة» وقد هزم جيش القرمطي واقتيد أسيراً إلى بغداد حيث شنق مع مجموعة من أنصاره(١٣)وفي سنة ٢٩٣ انتدبه الخليفة لاجتثاث أصولهم وفي سنة ٢٩٤ كانت وقعة عظيمة بين أصحاب الحسين وجماعة من أصحاب زكروية القرمطي فأوقع بهم وقتل منهم وأسر آخرين من نسائهم وصبيانهم(١٤).

ويفتخر الشاعر الأمير أبو فراس بصنيع عمه وتصديه لصاحب الشامة القرمطي وتخليص البلاد من آثامه وشروره فيقول(١٥).

وشنَّ على ذي الخال خيلاً تناهبت سماوة كلب بينها وعراعرُ
أضقنَ عليه البِيدَ وهي فضافض وأضللتهُ عن شبله و هو خابرُ

وبالإضافة إلى حرب الحسين للقرامطة كانت له حروب وفتوح أخرى فلقد سار لحرب الطولونيين ومعه أخواه داود المزرفن(١٦) وسليمان الحرون(١٧) وسائر قواد الخليفة فأوقع الحسين بهم الهزيمة ودخل مصر وعاد بعد فترة قصيرة إلى بغداد.

وفتح فارس ولم يقم بها غير مدة قصيرة كما تولى ديار ربيعة حقبة من الزمان ثم تولى بعد ذلك قم وقاشان في أقصى خراسان.

وبدأ موقف الحسين بن حمدان من الخلافة يتغير بعد وفاة المكتفى في أواخر سنة ٢٩٥ وتولى المقتدر بالله الخلافة ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ فتحول من الولاء إلى المعارضة العنيفة وسعى للإطاحة بالمقتدر بالله وتنصيب عبد الله ابن المعتز مكانه ولكن المحاولة كان مصيرها الفشل وهرب الحسين إلى الموصل.

أخذ الخليفة يلاحق الحسين وكتب المقتدر إلى أبي الهيجاء والي الموصل وشقيق الحسين يطلب منه قصد أخيه ومحاربته(١٨) والتقى أبو الهيجاء بالحسين عند تكريت فانهزم أمامه في رواية أو أن أبا الهيجاء تظاهر بالهزيمة في رواية أخرى(١٩).

وبعث الحسين يطلب الأمان من الخليفة فأجيب إلى ذلك ثم وافى الحسين بغداد

فخلع عليه الخليفة وعقد له على قم وقاشان[٢٠] فسار إليهما في سنة ٢٩٦.

وفي سنة ٢٩٨ يعود الحسين إلى بغداد فيخلع عليه المقتدر ويقلده أعمال ديار ربيعة فيسير إليها ويجعل إدارة ديار ربيعة شركة بينه وبين أخيه أبي الهيجاء الذي كان يتولى الموصل وأعمالها منذ سنة ٢٩٣هـ وفي سنة ٣٠١ غزا الحسين الروم وفتح حصونا كثيرة وقتل من الروم خلقاً كثيراً[٢١].

وفي سنة ٣٠٣ خرج الحسين على طاعة الخلافة وأعلن الثورة في الجزيرة ورفض دفع المال المقرر عليه مقابل توليه ديار ربيعة فأرسل الخليفة جيشاً لقتاله بقيادة ابن رائق وأتبعه بجيش آخر بقيادة مؤنس الخادم فهزمه مؤنس وتمكن أن يأسره وجميع أهله وأكثر صحبه[٢٢]. وسجن الحسين وقبض المقتدر كذلك على أخويه أبي الهيجاء وإبراهيم وباقي أفراد الأسرة الحمدانية وأودعوا السجن وفي سنة ٣٠٦هـ، مات الحسين ابن حمدان في السجن ميتة غامضة تبعث إلى الاعتقاد بأنه أغتيل[٢٣]. وظل بقية الأمراء الحمدانيين بالسجن حتى هذا العام حيث أطلق سراحهم.

ومهما كان الأمر فقد كان الحسين فارساً شجاعاً وقائداً كبيراً حارب القرامطة وانتصر عليهم وقهر الطولونيين وتولى حكم بلاد فارس وديار ربيعة وفتح حصوناً وقتل خلقاً كثيراً من الروم. وكان في مقدمة أمراء بني حمدان شجاعة وشهامة وعزيمة وقوة على الرغم من إنتهاء حياته بهذه الصورة المؤسفة.

أما شقيقة أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الذي يذهب بعض المؤرخين إلى أنه البداية الحقيقية لدولة بني حمدان[٢٤] فلقد كان سيفا باتراً من سيوف آل حمدان ولجرأته سمي بأبي الهيجاء وتولى الموصل سنة ٣٩٣.

وفي سنة ٣٠١ حاول أبو الهيجاء مخالفة الخليفة فأرسل إليه قائده مؤنساً فلما علم أبو الهيجاء بذلك قصد مؤنساً مستأمنا من تلقاء نفسه وورد معه إلى بغداد فخلع المقتدر وأعاده إلى ولايته[٢٥].

وفي سنة ٣١٤ أناب أبو الهيجاء عنه ابنه الحسين ناصر الدولة على الموصل ومكث في بغداد موطن الدسائس والوشايات.

وفي سنة ٣١٧ اشترك في مؤامرة دبرت لخلع الخليفة المقتدر وتقليد القاهر ولكن المحاولة كان مصيرها الفشل فأعيد المقتدر وقتل أبو الهيجاء.

وقد تألم المقتدر لمقتله بالرغم من اشتراكه في المؤامرة ضده وذلك لتقديره لجهد أبي الهيجاء ولأنه كان يرى فيه وفي قومه قوة عربية تقف إلى جواره في

الملمات والشدائد وتقديراً لذلك أقر الخليفة المقتدر بالله الحسن ابن أبي الهيجاء على ما بيده من أعمال وعلى إقطاع أبيه وضياعه[٢٦].

كان أبو الهيجاء ثالث أولاد حمدان بن حمدون وكان الحسين وأبو الوليد سليمان يكبرانه سناً ومن صلب أبي الهيجاء ومن ذريته ولديه الحسن ناصر الدولة وعلي سيف الدولة ذلك البطل المغوار الذي تصدر جميع الأمراء الحمدانيين في الموصل وحلب.

وبعد موت أبي الهيجاء أقر الخليفة المقتدر ـ كما سبق ـ الحسن ناصر الدولة على ولاية الموصل واحتفظ لآل حمدان بما كان لهم من ملك ومال[٢٧].

وفي عهد المقتدر أشرفت الدولة العباسية على الاضمحلال فلقد كانت الأزمات والفتن آخذة بخناقها وقتل المقتدر نتيجة للمنافسات بين القادة والوزراء وتولى القاهر الحكم فلم يلبث أكثر من سنوات ثلاث ثم قبض عليه وسملت عيناه وعُين الراضي مكانه سنة ٣٢٢[٢٨]. واغتنم ناصر الدولة فرصة ضعف الخليفة فحبس عنه الأموال التي كانت تجبى إليه من الموصل فاستغل الراضي ما كان بين الأمراء الحمدانيين من تنافس وشحناء فاستدعى أبا العلاء سعيد بن حمدان ووكل إليه جباية الأموال وأطمعه في ولاية الموصل بدل ابن أخيه وسار أبو العلاء إلى الموصل ليعلن سلطة الخليفة ويجبي أموال الموصل ولكن ناصر الدولة دبر له مكيدة أودت بحياته[٢٩].

وازدادت حالة الخلافة سوءاً في عهد الراضي، ولم يتمكن من إدارة شؤون البلاد وجباية الأموال، واضطر أن يستحدث منصباً جديداً هو منصب إمارة الأمراء ولم يعد بعد استحداث هذا المنصب ـ للخليفة من نفوذ الكلمة شيء وأصبح الأمر بيد أمير الأمراء وكان ابن رائق والي البصرة وواسط أول من لقب بهذا اللقب[٣٠]. ثم لا تمضي فترة طويلة حتى يتوفى الراضي ويخلفه المتقي وفي عهده استفحل خطر البرديين. فقصد أبو عبد الله البريدي بغداد وهزم ابن رائق أمير الأمراء، وتمكن أن يستولي على بغداد وتحكم فيها وسار الخليفة وجماعة من أرباب الدولة إلى تكريت على أسوأ حال[٣١].

واستنجد الخليفة بناصر الدولة الذي أرسل إليه أخاه سيف الدولة على رأس جيش كبير فلقيه هو وابن رائق بتكريت، فرجع معهما إلى الموصل وهناك اغتال ناصر الدولة ابن رائق ليحل مكانه[٣٢]. وقد كان له ذلك فإن الخليفة خلع عليه وسماه أمير الأمراء سنة ٣٣٠ ولقبه بناصر الدولة ولقب أخاه علياً سيف

الدولة(٣٣).

وفي رواية أخرى أن المتقي سم الحسين أمير الأمراء على أثر قتله لابِن رائق وكناه وخلع على أخيه علي وعلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ولكنه لم يلقب علي بن عبد الله بسيف الدولة آنذاك وإنما لقبه بعد أن هزم البريدي في واسط.

وعاد المتقي إلى بغداد مع أمير الأمراء ناصر الدولة وجيش بني حمدان ورافقهما سيف الدولة فلما اقتربوا من بغداد هرب عنها البريدي إلى واسط. ودخل الحمدانيون ومعهم الخليفة بغداد في جيش كبير وذلك سنة ٣٣٠هـ.

ثم سار سيف الدولة يريد واسط لأخذها من البريدي وأقام ناصر الدولة بالمدائن فالتقى سيف الدولة بالبريدي تحت المدائن بفرسخين وجرت بينهما موقعة كبيرة وكانت أولاً على علي بن عبد الله بن حمدان وانهزم أصحابه فردهم ناصر الدولة ثم صارت على أبي الحسين البريدي فانهزم ووقع الكثير من أصحابه في الأسر وقتل جماعة من قواده وعاد البريدي إلى واسط مهزوماً في أسوأ حال ولم يتبعه ابن حمدان وأصحابه لعظيم ما مر بهم ولكثرة الجراح فيهم.

وسار سيف الدولة نحو واسط فوجد البريديَّين قد انحدروا منها إلى البصرة فأقام بواسط ومعه الأتراك والديلم وسائر الجيش وكان يفكر في أن يسير بالجيش والأتراك إلى البصرة ليفتحها وكان أخوه ناصر الدولة يتباطأ في إرسال المال إليه(٣٤).

ولعل ناصر الدولة لم يسعف أخاه سيف الدولة بالمال خشية من أن يتسع نفوذ سيف الدولة بعد أن استولى على واسط وعزم على الاستيلاء على البصرة فخشي من أن يطغى نفوذه وسلطانه ـ والمنافسة بين أفراد هذه الأسرة مشهورة معروفة ـ ولعل التنافس هو الذي حدا بناصر الدولة أن يتقاعس عن إسعاف أخيه.

وتمرد القادة الأتراك على سيف الدولة لقلة المال لديه فهجموه ليلاً فهرب وترك معسكره. وتمكن توزون أكبر قواد الديلم أن ينال بعد ذلك منصب أمير الأمراء بدل ناصر الدولة الذي عاد إلى الموصل. وبذا تكون مدة إمارة ناصر الدولة أبي محمد في بغداد ثلاثة عشر شهراً تقريباً. نظر خلالها في أمر النقد وحال دون عبث العيارين والصيارفة فأمر بتصفية العين والورق وضرب دنانير سماها الإبريزية. وهدد الصيارفة بإنزال العقاب بهم إن لم يقلعوا عن الربا(٣٥).

ولم يكن توزون حسن السياسة ووقع الخلاف بينه وبين المتقى فاستوحش منه المتقي وخاف على نفسه مما اضطره أن يترك بغداد ويلجأ إلى الموصل مستعيناً

بالحمدانيين وسار توزون قاصداً الموصل مقر الحمدانيين وبعد معارك دامية تمكن من دخول الموصل بعد أن لجأ الحمدانيون مع المتقي إلى نصيبين ثم عاد إلى بغداد بعد أن صالح الحمدانيين على مال حملوه إليه فرجع إلى بغداد(٣٦).

ثم عاد المتقي إلى بغداد بعد أن تواترت رسل توزون عليه تسأله الرجوع وتعطيه العهود والمواثيق بالسمع والطاعة وأشار بنو حمدان على المتقي ألا يعود إلى بغداد وخوفوه من توزون وحذروه أمره فأبى إلا بمخالفتهم واطمأن إليه وعاد إلى بغداد فقبض توزون عليه ونهب جميع ما كان معه وسملت عيناه وخلع عن الخلافة وعين مكانه المستكفي(٣٧).

وفي سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مات توزون في بغداد ودخلت الخلافة العباسية في هذا العام نفسه تحت سلطة البويهيين. واستطاع البويهيون السيطرة على زمام الأمور في بغداد حيث خلع المستكفي على معز الدولة ولقبه ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة وأخاه الحسين ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم(٣٨) وطلب معز الدولة من ناصر الدولة أن يحمل إليه المال المقرر أن يدفعه من البلدان التي في يده فرفض ناصر الدولة فسار إليه معز الدولة ونشبت الحرب بينهما وهزم ناصر الدولة وأرسل إلى معز الدولة يلتمس منه الصلح فأجابه إليه - وتم ذلك في المحرم سنة ٣٢٥ هـ(٣٩). غير أن الاصطدام ظل قائماً بينهما وبلغ الأمر بناصر الدولة أن يستنجد بأخيه سيف الدولة في سنة ٣٤٧ فيضمن سيف الدولة الأموال وينتهي الأمر(٤٠).

ولم يأخذ الحمدانيون عظة وعبرة مما مر بهم من شقاق وخلاف فقام أبو تغلب بن ناصر الدولة بالقبض على أبيه وحبسه في قلعة كواشى وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٣٥٨ هـ(٤١). ودب الخلاف بين أولاد ناصر الدولة وتقاتلوا على السيادة والحكم ووقف كل منهم ضد الأخر مما أضعف نفوذهم وأدى إلى انتهاء دولتهم فبعضهم دخل في طاعة عضد الدولة وآخرون في طاعة العزيز صاحب مصر والباقون دخلوا في طاعة عمهم أبي المعالي شريف حلب(٤٢).

ويمكن القول إن أهمية الدولة الحمدانية في الموصل تتمثل في إنها نشأت سيف الدولة تنشئة حربية ممتازة. وأمدته بأسباب تأسيس ملكه في حلب. كما أنها كانت درعاً منيعة ضد قواد الترك ومعز الدولة فحالت بينهم وبين سيف الدولة الذي كرس جهوده لمحاربة الروم والذود عن ديار المسلمين.

وبعد هذا العرض لتاريخ الحمدانيين نمضي قدماً لتصوير حياة الأمير سيف

الدولة الذي بنى ملكاً وأسس دولة عزيزة قوية في حلب الشهباء قارعت الروم وفلت جيوشهم وخدمت الأدب خدمة جليلة فكانت شعاعاً وضاء وسناء لامعاً في دنيا العروبة والإسلام.

الفصل الثاني

سيف الدولة ـ حياته وأدبه

حياته:

ولد الأمير علي بن أبي الهيجاء بن عبد الله بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن أسد بن راشد في ميافارقين[٤٣]. سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل سنة واحدة وثلثمائة. وكان أبوه أبو الهيجاء رجلاً عرف بالشجاعة وولي عدة ولايات يخوض الحروب ويشارك في عزل الخلفاء وكان أعمامه ممن عرفوا بأساً وقوة وشجاعة كالحسين وداود وسليمان الحرون وأبي العلاء سعيد.

وينشأ الأمير الحمداني وأنظاره تتفتح على مجد أسرته ويسمع ببطولات فرسانها ويهفو قلبه لخوض المعامع وتسجيل المفاخر.

ولم يكد الأمير الحمداني يتم العقد الأول من حياته حتى أسلمه أبوه إلى العلماء والحكماء يدربونه ويلقنونه الحكمة وصنوف العلم وقد كان ذكاؤه الحاد خير مشجع له على أن يزداد من حكمة وعلوم العصر بأن يأخذ من كل شيء بطرف وأن يهز قلبه الأدب والشعر أكثر من كل شيء. وأن يكون لهوه في القنص وركوب الخيل والرمي وأن تخفق قلوب الفاتنات بحبه، وأن تكون أقاصيص الغزوات والحروب هي أشهى ما يستهوي فؤاده[٤٤].

وكان من أساتذة سيف الدولة ابن خالويه الذي يعد مؤدب أمراء بني حمدان وكان من أساتذته أبو ذَرّ الذي ذكره الثعالبي ونعته بأنه أستاذ الدولة وذكر له شعراً رقيقاً منه قوله[٤٥].

نَفْسي الْفِدَاءُ لَمِنْ عصِيت عَوَاذِلَي فِي حُبِّهِ لَمْ اخْشَ مِنْ رقبائِهِ

الشَّمْسِ تَطْلَعُ فِي أسِرَّةِ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلَعُ مِنْ خِلاَلِ قَبَائِهِ

ويرى الدكتور طه حسين أن ثقافة سيف الدولة ثقافة واسعة عميقة فقد كان على احتفاظه بكثير من خصال البداوة ـ أبعد الناس عن حياة البدوي الجاهل الذي لا يعرف إلا الشجاعة والبأس والكرم والجود.

وكانت بيئته الخاصة التي نشأ فيها تهيئه لحياة مثقفة لها حظ لا بأس به من المشاركة في العلم والأدب والأخذ بأسباب الحضارة الراقية الزاهية التي كانت مسيطرة في بغداد. وأخذت أسرته بأسباب الترف وعاشت عيشة المتسلطين ولم تترك أبناءها بغير تربية ولا تثقيف وإنما اتخذت لأساتذة والمؤدبين وعلمتهم ما لم يكن بد من تعلمه للنهوض بمثل ما كانت تنهض به من جلائل الأعمال[٤٦].

ويظن أحمد أمين أن سيف الدولة كان يعرف غير العربية مستدلاً بما ذكره ابن خلكان في ترجمة الفارابي من أنه كان لسيف الدولة مماليك وكان له معهم لسان خاص يحدثهم به(٤٧). ولا يستبعد الدكتور طه حسين أن يكون سيف الدولة ملماً شيئاً باليونانية وثقافتها معللاً ذلك باتصاله اليومي أثناء حياته كلها باليونان وشؤونها(٤٨).

وينشأ الأمير الفتى وسط الزعازع العصيبة التي كانت تعصف بالدولة العباسية فيقدم ولا يحجم ويدرع للأهوال بنفس واثقة وفؤاد جياش وعزيمة قوية. وما يكاد الأمير الشاب يبلغ منتصف العقد الثاني من عمره حتى يفجع بقتل أبيه وخلع الخليفة المقتدر له فيزداد حنقاً وثورة ووثوقاً وإيماناً بالله. وقد طبع هذا التاريخ الدامي لأسرته نفسه منذ نشأتها بطابع البطولة والشجاعة التي أظلت فيما بعد شعراء الندوة السيفية في حلب بظلال الفروسية والقوة.

وقد تحدث كثير من المستشرقين عن سيف الدولة فرأى بعضهم فيه البطل والقائد وسليل الأسرة الحرة من الحمدانيين الذين حكموا حلب، ورأوا في بلاطه مركزاً أدبياً مشرقاً وكان مزامنوه يسمون عصره بالعصر الذهبي(٤٩).

وكان سيف الدولة قبل انطلاقه إلى حلب الساعد الأيمن لأخيه ناصر الدولة فاظهر قدرة وكفاءة وعبقرية وشجاعة في قيادة الجيوش عندما غزا الروم في سنة ٣٢٦ وأنزل بهم هزيمة كبيرة وأسر سبعين بطريقاً وأخذ سرير الدمستق وكرسيه(٥٠).

وفي سنة ٣٢٨ يقدم الأمير الشجاع على غزو الروم مرة ثانية ويصل إلى قاليقلا ويكتسح هَفْجيج وتطأ أقدامه مواطئ لم يصل إليها أحد من المسلمين من قبل، ويمضي إلى قُلُونْيه(٥١)الحصينة المتأبية فتخضع له ويحرق رساتيقها(٥٢)ويكتب إلى ملك الروم من هناك مستهزئاً به وبمنعه بلاده ثم يعود بجيشه ظافراً منتصراً بعد أن توغل في بلاد الروم مسافات لم يدخلها أحد من قبله وأسقط من مدنهم أكثرها حصانة وأشدها مناعة.

ويعرض الشاعر النامي لهذه الحادثة مخاطباً سيف الدولة فيقول(٥٣).

وَنَــادَى الْهُــدى مستصــرخاً فَأَجَبْتَـــه   بِقاليقَلا إِذْ كُنْت بِالْخَيْلِ مُسْهِمًا

وَلَـمْ تَتّئدْ هَفْجـيجُ أَيـدَي بُناتها   أَبـدْتَهُمْ تَحْـتَ السـنابكِ رُغمَـا

لَـئِنْ حُسِـبْت عـذارءَ وَالْبَحْـرُ   لَقَـدْ وَجَـدَتْ فِيـه ثَكـولاً وأيمَّـا

وفي سنة ٣٣٠ يسير الأَمير الحمداني للقاء البَريديَّ فيهزمه ويأسر جماعة من غلمانه ويكتب إليه الخليفة رسالة تمجيد وتعظيم لبطولته ويقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم ... عرفتُ لا أخلاني الله منك ما تقرر عليه العزم في رواحك، قرنه الله بالخيرة التامة والمعونة الشاملة والكفاية الجامعة ووصله بالنصر والفلح والظفر والفتح فتعجلت الاستيحاش لبعدك والتحسر لما يفوت من قربك ـ لا خلوت منك ـ وكنت أحب أن ألقاك وأسر برؤيتك قبل نفوذك «أي خروجك للقتال» ولما تعذر ذلك دعوت الله لك بجميل الصحابة ولي عليك بحسن الخلافة وأن يسعدنا بذلك سعادة محمودة البدء والعاقبة، إنه سميع الدعاء، لطيف لما يشاء، ولا يزال قلبي متطلعاً لمعرفة خبرك إلي أن يرد علي من مستقرك بما تريه وتمضيه وتدبره وتمشيه فتعمل ـ لا أخلاني الله منك ـ على ملاحظتي من ذلك في كل وقت وساعة بما تعلم حسن موقعه مني والسلام»(٥٤).

ويتابع سيف الدولة انتصاراته على البريديين قرب المدائن وينزل بهم هزيمة نكراء، ويأسر عدداً كبيراً من قوادهم وجنودهم ويرى بعض المؤرخين أن هذه المعركة وما وليها من نصر كانت السبب الرئيسي للإنعام عليه بلقب سيف الدولة(٥٥) وإن كان كثير منهم يذهبون إلى أنه منح هذا اللقب قبل ذلك ... أي ... قبل دخوله بغداد وعلى أثر قتل ناصر الدولة لابن رائق بالموصل(٥٦).

وعلى أثر مغادرة الأميرين الحمدانيين لبغداد يعود سيف الدولة ليقيم في نصيبين حيث اختارها مقراً له قبل رحلته لبغداد وفي سنة ٣٣٢ يقلد ناصر الدولة الحسين بن سعيد أخا الأمير أبي فراس حلب وأعمالها وديار مضر والعواصم فيتألم سيف الدولة لذلك ويشعر أن ناصر الدولة يمتلئ قلبه حقداً عليه وفرقاً منه أن يطمع في ملكه ولكن الحسين ينصرف عن حلب لما دنا الإخشيد منها في ذي الحجة سنة ٣٣٢ وولى الإخشيد حلب أبا الفتح عثمان بن سعيد الكلابي(٥٧) وولى أخاه أنطاكية فحسد أبا الفتح إخوته الكلابيون وبعثوا إلى سيف الدولة ليسلموا إليه حلب وعرف سيف الدولة اختلاف الكلابيين فسار إلى حلب ودخلها في ربيع الأول ٣٣٣ هـ، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة ولاية فقال له ناصر الدولة «الشام أمامك، وما فيه أحد يمنعك منه»(٥٨).

وهناك رواية أخرى حول فتح سيف الدولة حلب ومفادها أن سيف الدولة طلب المعونة المادية والعسكرية من أخيه ناصر الدولة فرفض في بادئ الأمر فاستعان

سيف الدولة بفاطمة الكردية زوج ناصر الدولة وأم أبي تغلب فوافق ناصر الدولة على أمداد أخيه المال والجند فسار سيف الدولة إلى حلب وملكها(٥٩).

ويميل درويش الجندي إلى القول بإن سيف الدولة لم ينتزع حلب من يد عامل الإخشيد وإنما انتزعها من يد أبن عمه الحسين بن سعيد الذي كان والياً على حلب سنة ٣٣٢ وهو يرجح هذا الرأي بسبب التنافس الذي كان قائماً بين أفراد الأسرة الحمدانية. وإن المتأمل في هذا الرأي يرى خطله وذلك لأن المؤرخين الثقات يكادون يجمعون على القول بإن الحسين بن سعيد قد ترك حلب بعد أن دنا منها الإخشيد في ذي الحجة من السنة المذكورة نفسها(٦٠).

ويبدو لنا أن سيف الدولة كان منذ فترة طويلة يفكر في إقامة دولة في حلب فلقد ذكر مسكويه أن سيف الدولة أثناء وجوده في العراق وقتاله للبريديين كان يزهد الأتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر(٦١).

ولعل سيف الدولة اختار حلب لتكون عاصمة ملكه ليبتعد عن آتّون المنازعات الداخلية التي كانت تعصف ريحها في بغداد ليزج نفسه في حرب تعلي من شان الوطن، لقد اختار حلب وهو يدرك أنه سيخوض في سبيلها عشرات المعارك الدامية مع الروم.

وبعد أن دخل سيف الدولة حلب مد سلطانه إلى شمالي سورية وأقام الدعوة فيها للمستكفي الخليفة العباسي ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه(٦٢).

سيف الدولة والإخشيديون

انطلق سيف الدولة الأمير الحمداني يوسع أراضي إمارته الفتية فحث الخطا إلى حمص حيث التقى بجيش كبير من الاخاشدة على رأسه خيرة قوادهم ومن بينهم كافور الإخشيدي وفاتك، ودارت الدائرة على الإخشيديين وفروا إلى دمشق وهو في أعقابهم(٦٣).

ويعلم الإخشيد بهزيمة جيوشه أمام سيف الدولة فيخرج من مصر قاصداً الشام على رأس جيش كبير وعندما اقترب من دمشق تركها سيف الدولة متجهاً نحو الشمال إلى حمص ويسير الإخشيد في أعقابه ويلتقي الجيشان عند قِنَّسْرين وتجري بينهما معركة مريرة ينتصر فيها سيف الدولة على الإخشيد في البداية إلاّ أن الحسد يفتك بقلب ابن عمه الحسين بن سعيد الذي عجز عن هزيمة الإخشيديين في محاولته الأولى لغزو حلب فيأتي بعض التصرفات التي ينتج عنها انتصار الإخشيد. ولكن سيف الدولة لا ينصرف بل يعسكر مواجهاً للإخشيد الذي يرهبه ويخشى بأسه ويرسل إليه طالباً الصلح والمسالمة(٦٤). وتنتهي المعركة بمصاهرة حمدانية إخشيدية ويتزوج فيها سيف الدولة من فاطمة ابنة أخي الإخشيد عبيد الله بن طغج وينتظم هذا الأمر على يد الحسن بن طاهر العلوي(٦٥). ويقول أبو فراس في مِعْرَض الفخر بابن عمه سيف الدولة مشيراً إلى هذا النسب:

فَلَمَّا رَأي الإخْشيدُ مَا قَدْ أطَالَهُ ... تلافَـاهُ يُثْنِـي غَرْبَـهُ وَيُكَـاثَرُ
رَأي الصِّـهْرَ وَالرِّسْلَ الّـذِي هُـوَ عَاقِـدُ ... يَنَالُ بِهِ مَا لا تَنَالُ الْعَسَاكِرُ(٦٦)

وتم الصلح بينهم على أن يترك الإخشيد لهم حلب وما يليها من بلاد الشام شمالاً وتعهد لهم بأن يدفع إتاوة سنوية في مقابل احتفاظه بدمشق(٦٧). ويدل هذا الصلح على دهاء الإخشيد وسعة أفقه السياسي فقد رأى أن يكف من طموح سيف الدولة بهذا النوع الراقي من أسباب الود، كما يبدو لنا أنه كان يعلم تمام العلم أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام كان لا بد أن ينتهي بانتصارهم عليه لبعد الشقة بين مصر وبين هذا الإقليم ولأنه كان المجال الحيوي لتوسع الحمدانيين ومن المحتمل آن الإخشيد كان لا يكره أن تظل دولة الحمدانيين دولة حاجزة بينه وبين البيزنطيين تكفيه مئونة التعرض لهجومهم من وقت إلى آخر(٦٨).

ولقد رأى الإخشيد إذن أن يلاين هذا الأمير الطموح والقائد الشجاع ليأمن جانبه

من جهة وليجعل من إمارته الناشئة درعاً منيعة تقيه خطر الدولة البيزنطية في عهد أقوى حكامها وأبرع قادتها، ولا غرابة أن يلم الشاعر المتنبي بهذه الحقيقة حيث يقول:

لَـيْسَ إلاّكَ يـا عَلِـيُّ هُمَـامٌ — سَـيْفُهُ دُونَ عِرْضِـهِ مَسْـلَولُ
كَيْـفَ لا تَـأمَنُ الْعِـرَاقُ وَمِصْـرُ — وَسـرايَاكَ دونَهَـا وَالْخُيُـولُ
لَـوْ تحرفـت عَـنْ طَرِيـقِ الأعَـادِي — رُبِـطَ السِّـدَرُ خَـيلَهُمْ والنخيـلُ
وَدَرَى مَـنْ أعَـزَّهُ الـدَّفْعُ عَنْـهُ — فِيهِمَـا أنـهُ الْحَقِيـرُ الـذَّليلُ
أنّـتْ طَـولُ الْحَيَـاةِ لِلـرُّوم غَـازٍ — فَمَتَـى الْوَعْـدُ أنْ يَكُـونَ القفـولُ
وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ — فَعَلَـى أيِّ جَانِبَيْـكَ تَمِيـلُ
قَعدَ النّـاسُ كَلَهُـمْ عَنْ مَسَاعِيـ — ـكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا والنُّصُولُ
مَـا الّـذِي عِنْـدَه تُـدَارُ الْمَنَايَـا — كالـذِي عِنْـدَه تُـدَارُ الشـمَّولُ

وبعد أن تمّ الصلح بين الحمدانيين والإخشيديين استقر الإخشيد في دمشق وكأنه كان يخشى سيف الدولة ولا يأمن جانبه فأراد أن يكون على مقربة منه ولكن المنية عاجلته في نهاية سنة ٣٣٤ فخلفه ابنه أنوجور. ورجع كافور بالجيش إلى مصر فاغتنم سيف الدولة هذه الفرصة واستولى على دمشق مرة أخرى.

وأقام سيف الدولة في دمشق وجنى خراجها ... وقيل إنه كان يسير بصحبة الشريف العقيقي في الغوطة بظاهر البلد فقال سيف الدولة للعقيقي: «ما تصلح هذه الغوطه تكون لرجل واحد» فقال له الشريف هي لأقوام كثر، فقال سيف الدولة لئن أخذتّها القوانين لتبرأ أهلها منها، فأسرها الشريف في نفسه وأعلم أهل دمشق بذلك. وجعل سيف الدولة يطالب أهل دمشق بودائع الإخشيد فكاتبوا كافوراً فخرج في العساكر المصرية ومعه أنوجور ابن الإخشيد(٦٩)وخرج سيف الدولة إلى اللجون(٧٠). وأقام قريباً من عسكر الإخشيد ونشب القتال بين الفريقين وكتب النصر للإخشيديين وانهزم سيف الدولة إلى دمشق فأخذ والدته ومن كان بها من أهله وسار من حيث لم يعلم أهل دمشق بالوقعة وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة خمس وثلاثين، وسار إلى حمص وجمع جمعاً كبيراً من بني عقيل وبني نمير وبني كلب وبني كلاب والتقى بالإخشيديين شمالي دمشق بمرج عذراء وكانت الوقعة أولاً لسيف الدولة ثم آخرها عليه وانهزم وتفرقت جيوشه وطارده الإخشيديون إلى حلب فهرب إلى الرقة ثم عقدت بينهما معاهدة بالشروط التي عقدت مع الإخشيد سابقاً إلاّ الجزية التي كان يدفعها الإخشيديون مقابل احتفاظهم بدمشق فإنهم امتنعوا عن

دفعها[٧١].

وبعد ذلك بقي السلام قائماً بين سيف الدولة والإخشيديين ورسخ أسس إمارته الفتية التي كانت تشمل جند حمص وجند قنّسرين والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار بكر واتخذ حلب عاصمة لملكه.

سيف الدولة والروم:

أخذ سيف الدولة بعد إتمام السلام مع الإخشيديين في توطيد أركان ملكه وتحويل دولته إلى سد منيع استطاع الوقوف أمام الخطر البيزنطي وقد وقف الفتى الحمداني عشرين عاماً شجى في حلق الدولة الرومانية ونار الحرب لا تخمد جذوتها ذياداً عن ديار الإسلام وقد روت كتب التاريخ أنه غزاها ما يزيد على أربعين غزوة كان النجاح حليفه في معظمها.

ولقد ذاع اسم الأمير الحمداني في العالم الإسلامي لا على أنه حاكم حلب فحسب بل على أنه البطل المجاهد ضد الروم. وكان اسمه أبداً موصوفاً بأنه أقوى خصم وأعظم بطل وقف أمام الجيوش البيزنطية[٧٢].

كان لسيف الدولة وقائع مع الروم قبل أن يؤسس دولته في حلب وكانت أولى حروبه معهم سنة ٣٢٤ هـ. فلما استقر سيف الدولة الحمداني بحلب وطن نفسه على حرب طويلة الأمد مع الروم، وكانت أولى معاركه مع الدولة البيزنطية بعد تأسيسه دولته سنة ٣٣٧ ففتح حصن برزويه ووقع بينه وبين الروم وقعة كانت الغلبة فيها للروم فملكوا مرعش ونهبوا طرطوس[٧٣].

وفي سنة ٣٣٩ غزا سيف الدولة الروم وأوغل في بلادهم حتى كان على بعد سبعة أيام من القسطنطينية فظفر فيها وغنم غنائم كبيرة ، ولكن الروم أخذوا عليه الدرب وكاد سيف الدولة يهلك نفسه فسميت تلك الغزوة غزوة المصيبة[٧٤].

وفي سنة ٣٤١ التقى سيف الدولة مع الروم عندما بنى مرعش وأتاه الدمستق[٧٥]ليمنعه فالحق به سيف الدولة هزيمة منكرة، وفي السنة التالية التقى سيف الدولة بالدمستق قرب مرعش، فأوقع به وهزم جيشه وكانت معركة رهيبة جرح فيها القائد البيزنطي برداس فوكاس وأسر ابنه قسطنطين الذي ظل في الأسر حتى مات من علة اعتلها. وكانت هذه المعركة من أكبر ما مر على البيزنطيين من نكبات فبعدها حزن برداس فوكاس حزناً شديداً على أمر ولده ودخل الدير مترهباً[٧٦].

وقال شعراء سيف الدولة شعراً كثيراً يصور ترهب القائد وأسر ابنه، ففي ذلك يقول المتنبي(٧٧).

فَلَوْ كَانَ يُنْجِيَ مِنْ عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ ترهبّت الْمَلاَكُ مَثْنَى ومَوْحدَا

وقال النامي:

لَكِنّه طَلِبَ التّرَهُّبُ خيفة مِمَّنْ لَهُ تَتَقَاصَرُ الأعْمَارُ

فَمَكَانُ قَائِمِ سَيْفِهِ عُكّازُهُ وَمَكَانُ مَا يَتَمَنْطَقُ الزنارّ

وفي سنة ٣٤٣ خرج سيف الدولة بجيشه لبناء الحدث وسارع الدمستق عندما علم بالخبر للقاء الأمير الحمداني بجيش لجب بلغ عدد جنوده خمسين ألفاً والتحم الجيشان في معركة هائلة كان النصر فيها حليف سيف الدولة وقتل في هذه المعركة نحو ثلاثة آلاف من جنود البيزنطيين ووقع عدد كبير في الأسر من بطارقتهم وجنودهم وكان من ضمن الأسرى صهر الدمستق وابن ابنته(٧٨). وتغنى أكثر شعراء سيف الدولة بهذه الموقعة، فقال أبو فراس(٧٩):

وَحَسْبِي بِهَا يَوْمَ الأحيدبِ وَقْعَةً عَلَى مِثْلِهَا فِي العِزّ تُثْنَى الخنَاصِرُ(٨٠)

عَدَلْنَا بِهَا فِي قَسَمَةِ الْمَوْتِ بَيْنَهُمْ وَلِلسَّيْفِ حُكْمٌ فِي الْكَتِيبَةِ جَائِرُ

إذا الشّيْخ لا يَلْوِي ونقفورُ مجحرٌ وَفِي الْقَيْدِ ألفٌ كَالليُوثِ قساورُ

لَمْ يَبْقَ إلاّ صُهرُه وَابْنُ صِهْرِهِ وَثَوَّرَ بالباقينَ مِنْ هُوَ ثائِرُ

ووصف المتنبي الموقعة بقصيدته الميمية الرائعة:

عَلَى قَدْرِ أهُلِّ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ وتأتي عَلَى قَدْرِ الكرامِ المَكَارِمُ

هَلْ الحَدَثُ الحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أيُّ السّاقيينِ الغمَائِمُ

وترتب على الهزيمة الساحقة التي حاقت بالبيزنطيين أن أرسل الإمبراطور قسطنطين سفارة إلى سيف الدولة يلتمس منه الصّلح غير أنه رفض أن يستجيب لطلبه(٨١).

وفي سنة ٣٤٥ غزا سيف الدولة بلاد الروم ووطئ من أرضهم موطئاً لم يطأه المسلمون منذ ثلاثين سنة وبلغ من الروم مبلغاً عظيماً وقتل منهم نحو أربعة آلاف رجل وغنم ما يفوت الإحصاء من الدواب والديباج وعاد سالماً إلى آمد(٨٢)وبقدر ما أحرز سيف الدولة من نصر في هذه الموقعة مني بخسارة كبيرة بأسر ابن عمه أبي

العشائر القائد الحمداني الكبير الذي خلفه على حصن عرنداس فقصده ليون بن الدمستق وأسره وحمله إلى القسطنطينية فمات بها[٨٣].

وفي سنة ٣٤٦ لجأ الروم إلى الغدر والخيانة لإحراز النصر على سيف الدولة فتآمروا مع بعض غلمانه على أسره ولكن أحد القادة المعروف بابن كيغلغ كشف أمر المتمردين وقضى الأمير على المحاولة الغادرة[٨٤].

وفي عام ٣٤٩ أوغل سيف الدولة في بلاد الروم فأحرز نصراً وعاد غانماً غنائم كثيرة إلاّ أن الروم أخذوا عليه الدرب المعروف بدرب «مغارة الكحل» فتحاربوا فغُلب سيف الدولة وحلت به الهزيمة وارتجع الروم ما كان سيف الدولة قد أخذه من سبي وأسرى وغنيمة وأُخذت جميع خزائنه وسلاحه[٨٥].

وأسر في هذه المعركة أبو فراس الحمداني كما قتل فيها أبو الحصين الرَّقّي قاضي حلب[٨٦].

هال الروم الهزائم المتلاحقة التي ألحقها بهم سيف الدولة فاخذوا يعدون العدة للانتقام واستدعوا أمهر قائد من قوادهم وهو نفقور فوكاس ونقل من الجبهة الغربية إلى الجبهة الشرقية وولي إمارة الجيوش في المشرق سنة ٣٥٠[٨٧].

وفي سنة ٣٥١ هجم نفقور عيْن زَرْبَة[٨٨] في مائة وستين ألف مقاتل وبهذا الجيش اللجب أحاط نَقْفُورُ بالمدينة فلما رأى أهل عين زَرْبَة أن الجبل قد ملك عليهم وأن جيشاً آخر ورد إلى باب المدينة وأن مع الدمستق دبابات كثيرة وأنه قد أخذ في نقب السور طلبوا منه الأمان فأمنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا إلى المدينة فندم على إعطائهم الأمان فنادى في البلد من أول الليل بأن يخرج جميع أهله إلى المسجد الجامع وأن من تأخر في منزله قتل فخرج من أمكنه الخروج فلما أصبح أنفذ رجالته في المدينة وكانوا ستين ألف رجل وكل من وجدوه في منزله قتل فقتلوا عالماً من الرجال والنساء والصبيان والأطفال وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجمع منه أمر عظيم ... وقطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة ونادى فيمن حصل في المسجد الجامع من الناس بأن يخرجوا من البلد إلى حيث شاءوا وإن من أمسى ولم يخرج قتل فخرج الناس مبادرين وتزاحموا في الأبواب فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ومرّوا على وجوههم حفاة عراة لا يدرون إلى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات ومن وجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلفه من أمتعتهم وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل وبقي الدمستق مقيماً في بلدان الإسلام

واحداً وعشرين يوماً فتح فيها حول عين زربة أربعةً وخمسين حصناً(٨٩).

لقد ظهرت وحشية البيزنطيين في هذه المعركة بصورة جلية واضحة فكانت النساء والأطفال وحتى أشجار النخيل طعمة لنيران حقدهم ولقد آلمت المأساة الدامية نفس الأمير الحمداني فسارع إلى عين زَرْبةَ. وأعاد تشييد ما تخرب منها.

ثم إن نِقْفُورَ قصد حلب في هذه السنة بجيش يبلغ تعداده مائتا ألف جندي ولم يشعر سيف الدولة بخبرهم حتى قربوا منه فأنفذ غلامه نجا في جمهور عسكره ولكن جيش الروم خالفه في الطريق ولم يلتق به، وأسرع الأمير الحمداني للقاء الروم خارج حلب في أربعة آلاف جندي ولكنه تيقن ألاّ طاقة له بمحاربة هذا العدد الضخم فعاد إلى عاصمته وبذل خزائن السلاح للرعية وفي الصباح شارف العدو على المدينة ونشبت معركة طاحنة غير متكافئة من ناحية العدد وقتل عدد من قادة الجيش الحمداني منهم أبو داود بن حمدان وبشرى الصغير غلام سيف الدولة وأبو محمد الفياض كاتبه واضطر سيف الدولة أن يتراجع نحو بالس لكي يعيد تنظيم جيشه ويطارده ابن الشّمْشَقيق في عشرة ألاف من الفرسان وأحاط الجيش الرومي بالمدينة وقاوم أهلها بكل شجاعة وبسالة إلا أن بعض اللصوص قاموا بالاعتداء على بيوت المدينة مما اضطر المدافعين أن ينصرفوا لحماية بيوتهم فانقض الروم على السور وتمكنوا من فتح ثغرة كبيرة فيه واقتحموا المدينة وأعملوا القتل والنهب وأحرقوا مسجد المدينة وخربوا قصر الحَلْبَة ونهبوا كل ما فيه من سلاح وعتاد وخيل وحرير وديباج وألوان وعلى الرغم من سقوط المدينة بيد البيزنطيين لم يستطيعوا احتلال قلعتها التي اعتصم بها عدد من أهالي المدينة وظلت منيعة تصد كل المحاولات لاقتحامها(٩٠). وقتل أمامها ابن أخت الدمستق فانتقم لمقتله بقتل من معه من الأسرى وكانوا ألفا ومائتي رجل.

وأقام نقفور بالمدينة تسعة أيام ثم ارتد عن المدينة ولعل ذلك القرار راجع لخشيته من أن يقوم سيف الدولة بهجوم مفاجئ لا سيما بعد أن شاع إنحياز نجا إليه في قنسرين. ويقول شلمبرجر المستشرق الفرنسي: «كان سيف الدولة عظيماً في انتصاره كما كان عظيماً في انكساره وكانت إمبراطورية البيزنطيين تخافه منتصراً وتجله منكسراً»(٩١).

وما كادت الجيوش البيزنطية ترتد عن حلب حتى دخل سيف الدولة حلب وانصرف إلى إزالة ما تخرب ونقل إليها من استطاع جمعه من سكان مدينة قنسرين المجاورة وأعاد بناء أسوار حلب.

ورغم الهزيمة القاسية التي لحقت بالأمير الحمداني لم يفت ذلك في عضده ولم يذهب بثبات عزيمته فلقد أعاد تنظيم جنده ووجَّه ثلاثة جيوش للهجوم على الروم وأوغلت جيوش المسلمين من طرسوس في بلاد الروم حتى وصلوا قونية فأوقعوا بالبيزنطيين وانتصروا عليهم وتوجه نجا غلام سيف الدولة من ناحية ملطية، وعلى الرغم من المرض الذي ألمّ بسيف الدولة توغل بعسكره في الأراضي البيزنطية وحصل من السبي على أكثر من ألفين ومن المواشي على مائة ألف.

والجدير بالذكر هنا أن الحرب التي خاضها سيف الدولة ضد الدولة البيزنطية لمدة عشرين عاماً قد اتسمت بالصبغة الدينية، ويمكن القول بإنها كانت حرباً صليبية قبل بدء الحروب الصليبية المعروفة وكانت هذه الحرب جهاداً قام به سيف الدولة على أحسن الوجوه فتصدى للخطر البيزنطي تصدياً شجاعاً.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا تزمكسيس هو أول من فكر في الشروع في الحروب الصليبية عندما فكر في استرجاع بيت المقدس من المسلمين في زحفه على بلاد الشام سنة ٣٦٤ وبذلك يكون قد سبق الحروب الصليبية بنحو مائة سنة تقريباً[٩٢]. ولكن الواقع أن نقفور فوكاس الذي سبق تزمكسيس ببضعة عشر عاماً يعد في رأينا أول من تبنى الحروب الصليبية ونفذها بحيث إنها كانت تسيطر على تفكيره في كل حملة قادها ضد سيف الدولة والحمدانيين.

والشواهد التي تدعم هذا الرأي كثيرة، فنقفور عندما فتح طرسوس عام ٣٥٤ صعد منبرها وقال لمن حوله «أين أنا» فقالوا على منبر طرسوس فقال «لا» ولكني على منبر بيت المقدس وهذه كانت تمنعكم من ذلك[٩٣].

ويبدو أن فكرة الاستيلاء على بيت المقدس كانت تراود نقفور كثيراً وقد وضح ذلك من موقفه في طرسوس كما أنه يتضح من حملته سنة ٣٥٥ التي عاث خلالها في بلاد الشام وأقام بها نحو خمسين يوماً فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة قائلاً إن نقفور قد عسكر بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربي أن يكتب بشيء، فقال لا أجيب سيف الدولة إلاّ من أنطاكيّة ليذهب عن الشام فإنه لنا ويمضِ إلى بلده ويهادنْ عنه وإن أهل أنطاكية راسلوا نقفور وبذلوا له الطاعة وأن يحملوا إليه مالاً وأنه التمس منهم يد يحيى ابن زكريا عليهما السلام وأن يدخل بيعة أنطاكيّة ليصلي فيها ويسير إلى بيت المقدس[٩٤]. وقد كشف هذا القائد عن نواياه حين خاطب أهل القرى العربية بعد عودته من الهجوم على حلب قائلاً ازرعوا فهذا بلدنا وبعد قليل نعود إليكم[٩٥]. وقد كان نقفور يمهد لفكرته الصليبية في القسطنطينية حيث كان

يظهر في أعياد الفصح مرتدياً ملابس غريبة مذهبة منتعلاً نعلاً مذهباً تشبهاً بالسيد المسيح(٩٦).

وكان الجند البيزنطيون يحملون خلال المعارك راياتهم التي تزينها صور القديسين المقاتلين والصلبان الكبيرة حتى تعطي الحرب صبغة مقدسة(٩٧).

ويرى الدكتور درويش الجندي أن طابع حرب الحمدانيين ضد الروم لم يكن دينياً وأن الحمدانيين قاتلوا من أجل الملك حيث يقول: أكبر الظن أن النزعة الدينية عند بني حمدان وعند سائر حكام ذلك العصر جميعاً في الدرجة الثانية بعد شهوة الملك ونزعة التغلب، وأن خوف الحمدانيين على بلادهم من استيلاء الروم كان السبب الأول وأن الحرب لم تكن حرباً مذهبية. ويستطرد قائلاً: نعم لقد حمى سيف الدولة بحروبه مع الروم ذمار الإسلام ويحمد له الإسلام والمسلمون هذا الفضل ولكن غيرته على ملكه وحبه الاحتفاظ به وبسط رحابه كل ذلك كان الدافع الأول لما بذله من جهود في تلك الحروب الشعواء وإذا كان يحارب غير المسلمين من الروم فلماذا حارب الأخشيديين وقد كانوا مسلمين(٩٨).

وإني لا أوافق هذا الرأي وأرى أن الحرب كان دافعها الأول كما اتضح لنا دافعاً دينياً وخير دليل على ذلك أن جيوش سيف الدولة عندما كانت تنطلق لقتال الروم كانت تزود بخطب الجهاد التي تثير في نفوسهم الحمية الدينية وتدفعهم للاستماتة في القتال والاستشهاد في سبيل الله، وكان ممن يقوم بهذه المهمة أبن نُباتة الفارقي خطيب سيف الدولة الحمداني الذي اشتهر بخطبة الحماسية في الجهاد التي كانت تهز قلوب المسلمين هزاً فلا يكاد ينزل عن المنبر حتى تنطلق جحافل المسلمين إلى قتال الروم وهي تبحث عن الشهادة في ساحات الوغى في سبيل الله.

أما بالنسبة لقول الجندي: إذا كان سيف الدولة يحارب غير المسلمين من الروم فلماذا حارب الإخشيديين وقد كانوا مسلمين. فإن الأمير الحمداني لم يسع لقتال الإخشيديين وموقفه كان موقف الدفاع كما أنه كان متسامحاً كريماً معهم ففي موقعة الرستن التي خاضها ضد كافور انهزم الأخشيديون وازدحم جماعة منهم في جسر الرستن ووقع جماعة منهم في النهر فرفع الأمير الحمداني السيف وأمر جنده ألا يقتلوا أحداً من الإخشيديين قائلاً «الدم لي والمال لكم» وأسر نحو أربعة آلاف من الأمراء وغيرهم. ثم بعد قليل أطلق سراحهم طائعاً مختاراً فمضوا وهم يشكرون صنعه.

ولقد جهد سيف الدولة لعقد صلات سلمية مع الإخشيديين وبعد عقد الصلح معهم

انصرف بكل جهده لمقاومة البيزنطيين ولم يجر بينه وبينهم أي اصطدام طوَال مدة حكمه كما أنه كان يحرص على حسن العلاقة مع البويهيين والخليفة وحتى عندما تمكن معزُّ الدولة من طرد ناصر الدولة من الموصل وجاء الأخ الطريد إلى حلب واستقبله سيف الدولة استقبالاً حافلاً حاول بكل جهده ألاّ يصطدم بالبويهيين فعرض عليهم المفاوضة والصلح وعقد باسمه دون اسم أخيه الاتفاق وتعهد بدفع الجزية السنوية.

وخلاصة القول إن سيف الدولة كرس كل جهده لمقارعة الروم والدفاع عن ذمار المسلمين ودرء خطرهم ووقف زحفهم الصليبي. وإن حرب البيزنطيين ضده كانت حرباً صليبية صريحة وسابقة للحروب الصليبية المشهورة بفترة طويلة.

الأحداث الداخلية:

واجه سيف الدولة أخطاراً داخلية اضطر من أجل القضاء عليها إلى خوض المعارك وكان يخوضها مرغماً لأنه كان يحس بالخطر الكامن على حدود إمارته والمتمثل في البيزنطيين وأطماعهم، وكان في إمكانه أن يحرز نصراً أعظم على الروم لولا أنه اضطر أحياناً لمقارعة الأخاشدة ومحاربة بعض القبائل العربية حيناً آخر وبعض القرامطة والعمال والقواد المتمردين.

كانت بعض القبائل العربية تزيد من هموم الأمير بين الحين والأخر بثوراتها التي كانت تهدف للعبث والفساد والسلب والنهب ولكنه كان لها بالمرصاد ففي سنة ٣٤٣ أوقعت القبائل النزارية واليمانية بعامل سيف الدولة في قنسرين فأوقع بهم الأمير الحمداني وقتل وجوههم وسراتهم:

ويتغنى أبو فراس في تلك الموقعة فيقول مفتخراً(٩٩):

أَلَمْ تَرِنّا أعَزّ النّاسِ جَارًا وَأمْرُعَهُمْ وأمنعهم جَنَابًا

لَنَا الْجَبَلُ الْمُطِلُّ عَلَى نِزارٍ حُللِنَا النجْدَ مِنْه والهضابا

فَلَمَّا أنْ طَغَتْ سفهاءُ كَعْبِ فَتْحِنَا بَيْنِنَا للحَرْبِ بَابًا

مَنَحْنَاهَا الرغائبَ غَيْرَ أنّا إِذَا شِئْنَا مَنَحْنَاهَا الحِرابا

وعلى الرغم من عصيان هذه القبائل كان سيف الدولة رحيماً يصفح ويعفو بعد أن يقضي على محاولاتها. ولقد أحفظه بنو كلاب الذين أدناهم وقرَّبهم فأسرى إليهم وأوقع بهم وملك حُرَمهَم وأموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن وأحسن إليهن ليسل بكرمه إضغان هذه القبائل ويردها إلى

حظيرة الطاعة. ولقد أحسن أبو فراس تصوير ذلك بقوله (١٠٠).

وَمَـا أنـسَ لا أنْـسَ يَـوْمَ المغـا	رِ محجبـــة لَفَظَتْهَـــا الحجـــبْ
دَعَــاكَ ذَوُوهَــا بِسُــوءِ الْفعــالِ	لِمــا لا تشَــاءُ وَمَــا لا تحــبْ
فَوَافَتْــكَ تعْثـــرَ فِـــي مرطِهــا	وَقَـــدْ رَأتْ المَـــوْتَ مِـــنْ عَـــنِ كثـــــــبْ(١٠١)
وَقَــدْ خَلَـطَ الْخَـوْفُ لَمَّــا طَلَعْــ	ــت دَلَّ الْجَمَــالِ بــذُلِّ الرعــبْ
تُسَــارِعُ فِــي الخَطْــوِ لا خِفَّــة	وَتَهْتَزُ فِي الْمَشْيِ لا مِنْ طَرَبْ
فَلَمَّــا بَــدَتْ لَــكَ دُونَ الْبُيُــوتِ	بَــدَا لَــكَ مِــنْهُنَّ جــيشٌ لجِــبْ
فَكُنْــــتِ أخَــــاهُنَّ إذْ لا أخٌ	وَكنْـــتَ أبـــاهُنَّ إذ لَـــيْسَ أبْ
وَمَا زِلْتَ مُذْ كنْتَ تَأتِي الجَمِيلَ	وَتَحْمِي الحَرِيمَ وَتَرْعَى النّسَبْ
وَتغضَــبُ حَتّــى إذَا مَــا ملكْــتَ	أطِعْتَ الرِّضا وَعَصَيْتَ الغضَبْ
فَـــوليَّنْ عَنْـــكَ يُفَـــدِّينَهَا	وَيَرْفَعْنَ مِنْ ذَيْلِهَا مَا انسَحَبْ
يُنَــادِينَ بَــيْنَ خِــلالَ البيــو	ت لا يقْطَــعُ اللهُ نسْــلَ العــرَبْ
أمَــرتَ وَأنــتَ المُطــاعُ الْكَـرِيمُ	ببَـــذْل الأمـــان وَرَد السّـــلَبْ

ويقول المتنبي واصفاً رفق الأمير بقومه من العرب:

وَكَيْــفَ يَــتِمُّ بَأسُــكَ فِــي أنَــاسُ	تُصِــيبُهُمْ فيؤلمــكَ الْمُصَــابُ

ويذكر الببغاء حلم الأمير وعفوه عن بني كلاب(١٠٢):

إذَا اســتلكَّ الجــانونَ أغْمَــدَكَ الحُلْــــــــــمُ	وَإنَّ كَفَكَ الإبْقَاءُ انْهَضَكَ العَزْمُ
إذَا العُــرْبُ لــم تَجْــزِ اِصْــطِناعَ مُلُوكِهَــــــــا	بُشْــكرِ تَمَــادَتْ فِــي سِياسَــتِهَا الْعجــــــــــــمُ
أعِــدْهَا إلَــى عــاداتِ عَفْــوَكَ مُحْســــــــنَاً	كَمَــا عَوَّدَتْهــا قِبَـلُ آبـاؤُكَ الشّـمُ
فَـإن ضَـاقَ عَنْهَـا الْعُذْرُ عِنْـدَكَ فِـي الـــــــــذِي	جَنَتْهُ فَمَا ضَاقَ التفضُّلُ والحِلمُ

وبقدر ما كان سيف الدولة رحيماً بالقبائل العربية كان شديداً على الروم شديداً على القرامطة وذوي الدعوات الهدامة يضربهم في عنف وقسوة كما فعل بالمبرقع ٣٣٦هـ الذي أخذ يدعو الناس إلى نفسه في بادية السماوة وافتتح مدائن أطراف الشام وأسرَ أبا تغلب بن دواود بن حمدان وهو نائب سيف الدولة على حمص

وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال فأسرع إليه سيف الدولة من حلب يغذ السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق فأوقع به وقتله ووضع السيف في أصحابه فلم ينْجُ إلاّ من سبق فرسه وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل وبين يديه رأس الخارجي على رمح(١٠٣).

وقد صوَّر أبو فراس هذا الحديث بقوله(١٠٤):

وَأنقِذَ مِنْ مَسِّ الْحَديدِ وَثِقْلِهِ أبَا وائل وَالدَّهْرُ أجْدَعُ صَاغِرُ
وَآبَ وَرَأسُ الْقَرْمَطِيِّ أمَامَه لَهُ جَسَدٌ مِنْ أكْعُبِ الرُّمْحِ ظاهِرُ

وذهب بعض الباحثين إلى أن سيف الدولة قد صانع القرامطة وتفادى الاصطدام بهم وذكروا مثالاً على ذلك أنه في سنة ٣٥٣ استهدى الهَجَريّون من سيف الدولة حديداً فقلع سيف الدولة أبواب الرَّقة وهي من حديد وسد مكانها وأخذ حديداً بديار مضر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا إليه أنّا قد استغنينا عن الحديد فأخذ القاضي أبو حصين الأبواب فكسرها وعمل منها أبواباً لداره. ثم كتب الهجريون يلتمسون الحديد فأخذ الأبواب التي عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله في الفرات إلى هيت ثم منها إليهم في البرية(١٠٥).

ولا نستطيع أن نطمئن إلى صحة هذا القول ونسلم به واليك الدليل الذي يدفعنا إلى الشك ويقوي في النفس رفض هذه الرواية ودحضها، تزعم الرواية أن القاضي أبا حصين أخذ سنة ٣٥٣ الأبواب فكسرها وعمل منها أبواباً لداره وذلك عندما كتب القرامطة إلى سيف الدولة أنهم استغنوا عن الحديد. بينما من الثابت المؤكد أن القاضي أبا حصين لم يكن على قيد الحياة آنذاك إذ كان قد قتل سنة تسع وأربعين وثلثماية في غزوة مغارة الكحل.

وفي سنة ٣٥٤ هـ خرج مروان العقيلي وكان من مستأمنه القرامطة واستطاع أن يدخل حلب أثناء غياب سيف الدولة عنها من أجل الفداء ولكن مدته لم تطل فيها حيث مات من ضربة ضربه بها أحد غلمان سيف الدولة(١٠٦).

وقد خرج كذلك بعض عمال وقواد سيف الدولة وأعلنوا التمرد والعصيان وذلك لِما شعَروا به من قوة ومنعة خاصة في الفترة الأخيرة من حكم سيف الدولة.

ففي سنة ٣٥٢ هـ حاول هبة الله بن أخيه ناصر الدولة التمرد في حَرّان (١٠٧)وأرسل سيف الدولة غلامه نَجا إلى حَرّان ليعيدها إلى حظيرة الأمير فما أن علم هبة الله بذلك حتى هرب إلى أبيه بالموصل(١٠٨). ولكنّ نجا نفْسَه خرج من حرّان إلى ميافارقين، وهناك أظهر العصيان ولم يكتف بذلك بل كاتب معز الدولة

البويهي يعِدهُ المعاضدة والمساعدة على بني حمدان وسار إليه سيف الدولة يريد تأديبه وقتاله فهرب نَجا ثم أرسل إليه الأمير يرَغبه ويرهبّه فرجع إلى سيده الذي أحسن إليه وأعاده إلى سابق رتبته إلاّ أن غلمان سيف الدولة وثبوا عليه فقتلوه فحزن الأمير حزناً شديداً(١٠٩).

وفي سنة ٣٥٤ خرج أهل إنطاكيّة عن طاعة الأمير وحدثت الفتنة التي قام بها الحسن الأهوازي في أنطاكيّة وكان عاملاً عليها من قبل سيف الدولة فثار بمصاحبة رشيق النسيمي أحد قواد سيف الدولة الحمداني في الثغور إلاّ أن الأمير الحمداني استطاع أن يخضع الثائرين ويقتل القائمين بالفتنة وأعاد أنطاكيّة إلى طاعته(١١٠).

ويظهر مما تقدم أن سيف الدولة قد ضعف في آخر عمره لمرض لحقه إذ إنه أصيب بالفالج وقد أدى ضعف الأمير إلى انهيار تلك الوحدة التي حققها بين أطراف دولته وانعدام الاستقرار الذي أوجده وبذل من أجله الكثير.

وفاة سيف الدولة

حياة سيف الدولة كان معظمها جهاداً وجلاداً وكفاحاً ونفاحاً، إما مع الروم وإما مع المنقضين عليه من القبائل النازلة في ملكه أو القرامطة أو بعض العمال والقادة المتمردين الخارجين.

وحسبك أن سيف الدولة كان قد جمع من نفض الغبار الذي أصابه في الغزوات ما تكون منه لبنة بقدر الكف وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده فنفذت وصيته(١١١).

ولقد قضى الأمير المجاهد نحبه سنة ٣٥٦ فاشتد بكاء الناس عليه ومنه كما يقول الأزدي(١١٢) فتذرف الناس الدمع عليه لأنه كان فارساً مجاهداً وأديباً حانياً على كثير من الأدباء والشعراء والعلماء وبكوا منه لأنه كان يجور على رعيته في بعض الأحيان.

ولقد أُثِرَ عن أبي الحصين الرّقيّ قاضي سيف الدولة قولهُ «كُلُّ مَنْ هَلَكَ فَلسيَفْ الدوّلة ما مَلَكَ»(١١٣) ولا شك أن لا أحد يقبل بالظلم أو يقره مهما كان نوعه ولكن يبدو أن سيف الدولة قد اضطر إلى أن يثقل كاهل رعيته بالضرائب لاضطراره مجابهة الروم وإيقاف خطرهم الداهم المهدد للأمة. فلقد غزا سيف الدولة بلاد الروم أربعين غزوة ولولاه بعد ضعف العباسيين لتقدم الأعداء في بلاد الشام وربما استصفوها كلها. هذا ما كان من أمر ما نسب إلى سيف الدولة من ظلم وأما محاسنه

وسجاياه وكرمه وشجاعته وتضحياته فأمور تشكل ملحمة... عظيمة قل مثيلها.
وقد نقل إلى ميافارقين ودفن في مقبرة أمّه داخل المدينة(١١٤).
وبوفاة الأمير الحمداني ضعف شأن الحمدانيين وتزعزت دولتهم في حلب وخلفه ابنه سعد الدولة وبقي حاكماً إلى أن توفي سنة ٣٨١ هـ فملك بعده ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة وبقي في الحكم إلى أن توفي سنة ٣٩٢ هـ وبموته انقرض حكم الحمدانيين في حلب.

تشجيعه للشعراء والأدباء:

كان الأمير الحمداني بالإضافة لشجاعته وبطولته راعياً للأدب والأدباء والشعر والشعراء والعلم والعلماء. وكانت ندوته التي يقيمها في فترات السلم حافلة بالعلماء والأدباء والشعراء والفلاسفة الذين يقصدونه من مختلف ديار الإسلام. وكانوا يلقون منه العناية والرعاية مما يدفعهم إلى تجويد نتاجهم الأدبي والعلمي.
ومما ساعد على تقدير الشعر وتكريم الشعراء أن الأمير كان على جانب عظيم من الثقافة والبصر بمواطن الجمال والقدرة على تمييز الخبيث من الطيب. كما كان أديبا شاعراً يطرب لجيد الشعر ويقدره كما كان الأمير الحمداني. يمتاز بذوق أدبي بالغ جعل في قدرته المفاضلة بين الشعراء والأدباء بلغة الناقد المتفحص. وبسبب هذه الروح التي بثها الأمير الحمداني سمقت شجرة الشعر الفينانة وأينعت ثماره وامتدت أغصانه. وكثر الشعراء الوافدون وتضاعف عددهم فكان بلاط الأمير ملتقى الشعراء ومنتدى الأدباء ومنهم بالإضافة إلى المتنبي أبي الطيب من الشعراء الفحول أبو العباس النامي والصنوبري وعلي بن عبد الله الناشئ والسري الرفاء وأبو الفرج الببغاء وأبو الفرج الوأواء وأبو الفتح كشاجم وأبو نصر بن نباتة السعدي وأبو العباس الصفري والخالديان وأبو القاسم الشيظمي وغيرهم.
ولقد عادت جهود الأمير على الأدب باليمن والبركة فبرز الشعراء في رحابه وبزوا أقرانهم وفاقوا أمثالهم وهذا هو الثعالبي يقول: والسبب في تبريز القوم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إياهم، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء وهم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب والمشهورون بالمجد والكرم وبالجمع بين أدوات السيف والقلم وما منهم إلا

أديب جواد يحب الشعر وينتقده ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل، لذا انبعثت قرائحهم في الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا[١١٥].

ولقد كان جود الأمير وعطاؤه عاملاً له أهمية كبيرة في تلك النهضة الشعرية التي شهدتها حلب، ولقد ذاع صيت سيف الدولة بجوده وكرمه حتى أنشأ بديع الزمان الهمذاني مقامة سماها «المقامة الحمدانية» صوَّر فيها ما كان يجري في مجلس الأمير حيث عُرض عليه فرس أصيل لحظته الجماعة فقال:- أيكم أحسن صنعته جعلته صلته فكل جهد جهده وبذل ما عنده[١١٦].

كما أن ثقافة الأمير وتذوقه للأدب ونقده كان له دور مهم في ذلك الإشعاع الفكري والأدبي، ويجب إلاّ يأخذنا العجب ما يروى عن سيف الدولة في هذا الشأن فقد كان كما اتضح لنا سابقاً ـ صاحب ثقافة واسعة عميقة ولقد هيأت له بيئته الخاصة التي نشأ فيها حياة مثقفة لها حظ من المشاركة في العلم والأدب والأخذ بأسباب الحضارة الراقية الزاهية التي كانت مسيطرة في بغداد.

وتظهر ثقافته في أحاديثه ومحاوراته ومشاركته فيما كان يخوض فيه جلساؤه من العلم والأدب والفن وقدرته على التمييز الدقيق فيما يقال في مجلسه ورغبته في أن تحفل حلب بأضخم عدد ممكن من العلماء والأدباء والكتّاب والشعراء وفي أن تتفرع فيها الثقافات فتزهر الفلسفة إلى جانب العلم وتزدان علوم الدين إلى جانب علم اللغة والأدب[١١٧].

وحسبنا أن نقول إن هذا الجو الذي أوجده سيف الدولة في حلب وهذا الاهتمام الكبير الذي أبداه بالشعر والشعراء شجع كل من كان عنده قدرة فنية على قول الشعر والإجادة فيه، فبائع البطيخ وهو الوأواء الدمشقي أصبح شاعراً كبيراً وكشاجم الذي قيل إنه كان طباخ سيف الدولة أصبح مع هذا شاعراً ظريفاً وكذلك قيما المكتبة وهما الخالديان صارا شاعرين مشهورين.

ولقد كثر الشعراء في عهد سيف الدولة كثرة نادرة حتى إن الثعالبي يقول لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر[١١٨].

ولقد كانت ميزات سيف الدولة مشجعة على النهوض بالشعر والأدب والعلم إلى غاية بعيدة فهو عربي من تغلب يعتز بنسبه ومجد بيته وفيه الطباع العربية التي اشتهرت في البيوتات الكبيرة فكان يطمح كل الطموح لحسن الأحدوثة ولذلك يهمه أن يكون حوله أعاظم الشعراء يشيدون بذكره ويسير شعرهم في الأفاق مدحاً فيه،

ثم هو فارس فيه صفات الفروسية من إباء وفخر ونصرة للضعيف وكان يرى المجد والمروءة في الزّهادة في المال معتزاً بالشرف مغدقاً على الأصدقاء والشعراء(١١٩).

ولقد كان الأمير الحمداني مقصد الشعراء والأدباء حيث ينزلهم في بلاده على الرحب والسعة ويبرهم بصلاته وكان قد أمر بضرب دنانير خاصة للصلات وزن كل دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته فأمر يوماً لأبي الفرج منها بعشرة دنانير فقال ارتجالاً(١٢٠).

نَحْـنُ بِجُـودِ الأميـرِ فِـي حَـرَم ... نَرْتَــعُ بَــيْنَ السَـعود والــنعم
أَبْـدِعُ مِـنْ هَـذِهِ الـدَّنانير لَـمْ ... يَجْـر قَـدِيمَا فِـي خَـاطِرِ الْكَـرَمِ
فَقَـدْ غَـدَتْ بَاسَـمِهِ وَصُـورَتِهِ ... فِـي دَهْرِنـا عـوذَةً مِـنَ الْعَـدَمِ

فزاده عشرة أخرى. والأمثلة كثيرة على ما لقي الشعراء في بلاط سيف الدولة من رعاية فائقة وعناية بالغة، ولهذا لا عجب أن تكون حلب في عهده ملتقى الشعراء من الشرق والغرب.

ومن تلك الأمثلة أن أبا فراس كان يوماً بين يديه في نفر من ندمائه فقال لهم سيف الدولة أيكم يجيز قولي، وليس له إلا سيدي "يعني أبا فراس":

لَــــكَ جِسْــــمَي تُعِلّــــهُ ... فَــــدمِي لِــــمْ تُحِلّــــهُ

فارتجل أبو فراس قوله:

أنـــا إنَّ كنْـــتُ مَالِكًـــا ... فَلِــــي الأمْــــرُ كُلّــــهُ

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنبج تُغلَ ألفي دينار(١٢١).

وحدث أبو الحسن علي بن محمد الهمذاني قال: كنت واقفاً بين السماطين بين يدي سيف الدولة بحلب والشعراء ينشدونه فتقدم إليه أعرابي رثَ الهيئة فاستأذن الحجّاب في الإنشاد فأذنوا له. فأنشد:

أنْـــتَ عَلِـــيٌّ وَهَـــذِهِ حلـــبُ ... قَـدْ نَفِـدَ الـزادُ وَانْتَهَـى الطلـبُ
بِهَـــذِهِ تُفْخَـــرُ الـــبلادُ وبـــال ... أمير تَزْهَى عَلَى الْوَرَى العَرْبُ
وَعَبْـدُكَ الـدَّهْرِ قَـدْ اِضْـرَ بِنَـا ... إِلَيـكَ مِـنْ جَـوْرِ عَبْـدِكَ الهَـرَبُ

فقال سيف الدولة: أحسنت ولله أنت !! وأمر له بمائتي دينار(١٢٢).

ولقد كان للمتنبي منزلة خاصة لدى الأمير ولقي في ذراه كرماً وافراً وعطاءً كبيراً فقد كان يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار إزاء ثلاث قصائد يُنشدها إياهُ كل عام(١٢٣)، وقد أعطى سيف الدولة أبا الطيب المتنبي ضيعة بالمعرّة اسمها صف إقطاعاً له(١٢٤).

وقد روى ابن حجةَ الحموي في ثمرات الأوراق أن سيف الدولة انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء فأنشدوه فدخل رجل شامي فأنشده:

وكـانوا كفـار وسوسـوا خلـفَ حــائط وَكُنــتَ كســنورٍ علــيهم تســـــــقفا

فأمر بإخراجه فقام على الباب يبكي فأخبر سيف الدولة ببكائه فرقَ له وأمر بردّه وقال له: مالك تبكي؟ قال: قصدت مولانا بكل ما أقدر عليه أطلب بعض ما يقدر عليه فلما خاب أملي بكيت، فقال له سيف الدولة ويلك فمن يكونُ له مثل هذا النثر يكون له مثل ذلك النظم. وكم كنت أملتَ؟ قال خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم فأخذها وانصرف(١٢٥).

وذكر أنه حُمِلَ إلى سيف الدولة أموال من بعض الجهات على بغال فضاع منها بغلُ بما عليه وهو عشرة آلاف دينار وجاء هذا البغل حتى وقف على باب الناشئ الشاعر بالأحصى فأخذ ما عليه من المال وأطلقه ثم دخل حلب ودخل على سيف الدولة وأنشده قصيدة له يقول فيها:

ومن ظن أن الرزق يأتي بحيلة فقـد كذبتــه نفســه وهــو آثــم

يفـوت الغنــي مــن لا ينــام عــن الســــــــرى وآخـر يــأتي رزقــه وهــو نــائم

فقال سيف الدولة بحياتي وصل إليك المال الذي كان على البغل فقال نعم: فقال خذه بجائزتك مباركاً لك فيه(١٢٦). وهذه القصة التي يغلب عليها الوضع تحمل بين طياتها دلالة على كرم الأمير وجوده.

ودخل عليه شاعر وطرح من كمه كيساً فارغاً واستأذنه في إنشاده فأذن له فأنشده قصيدة أولها:

جبــاؤكُ معتــاد وأمــرك نافــذ وعبدكُ محتاج إلى ألف درهم

فلما فرغ من إنشاده ضحك سيف الدولة ضحكاً شديداً وأمر له بألف دينار فجعلت في الكيس الفارغ الذي كان معه(١٢٧).

ولقد ذاع صيت عطائه الواسع في سائر الأقطار الإسلامية وفي كل نادٍ ومحفل، مما كان يدفع بعض الشعراء أن يمدحوه بُغية النوال دون أن يقصدوا حلب.

ولم يقتصر مدح سيف الدولة على الشعراء بل إن بعض الشاعرات هزجن بكرمه وصدحن بأريحيته. فلقد روي عن أبي علي التتوخي ـ قال اخبرني ابن عبد الله السلامي أنه كانت له أبنة خال بغدادية مخزومية تقول الشعر (١٢٨).

وقال أنشدتني لنفسها من قصيدة لها إلى سيف الدولة(١٢٩).

لَـوْلا حَـذاري مِـنْ أنْ ألامَ عَلَـى عِتَـــابِ يَـــوْم مِنْـــه وإعتابـــه
لسَرتُ وَاللَّيْلُ هَوْدَجِي وَذبابُ الـ السـيفِ فِـي نحـرِهِ إلَـى بَابِـهِ

وهكذا نلحظ أن جانباً آخر غير الحرب لامعاً في شخصية الأمير الحمداني وهو نزعته الأدبية التي حفزته إلى العمل على نهضة الشعر والعلوم والآداب، ولقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الفضل الذي أحرزه سيف الدولة ابن حمدان بنشر العلوم والآداب العربية هو عنوان مجد لا يقل عن أعماله الحربية.

ويقول بروكلمان: ولئن كان سيف الدولة يدين بما تم له من شهرة عريضة لنضاله الموفق ضد الروم في المحل الأول ليس من شك في أنه مدين بذلك في المحل الثاني لعطفه على العلوم والفنون ورعايته لها(١٣٠).

ولقد أخذ بعض الباحثين على سيف الدولة تغاليه في الإفضال على الشعراء والأدباء فقد قال الأستاذ محمد كرد علي: كان رحمه الله يجوز أخذ ما في أيدي الناس ليستعين به على غزو الروم ويسرف بجانب كبير يفضل به على الشعراء والأدباء فيخرجه من أكياس الرعية وجيوبهم لينفقه في وجوه المبرات والعطايا(١٣١).

وقال في محاضرة ألقاها في نادي الشهباء عام ١٩٢٣ إن ما صدر عن سيف الدولة غاية في الكرّم ولكنه لا يجوز في الشرع والعقل أن تجبي هذه الأموال من الفقراء والأغنياء لتصرف في مصالح الأمة ثم يأخذه شاعر واحد.

وهذا القول صحيح إذا قسناهُ بالمقياس المتداول في عصرنا ولكن عصر سيف الدولة يختلف عما نحن فيه كل الاختلاف فليس الغرض فيما نعتقد من هبات الأمير وعطاياه الكثيرة للشعراء مجرد المدح بل كانت ألسنة الشعراء تؤدي في ذلك الوقت ما تؤديه اليوم أجهزة الإعلام من الإذاعة المسموعة والجرائد المرئية التي تستهلك معظم ميزانيات الدول.

فكانت وظيفة الشعراء أن ينشروا فضائل من تقلد زمام الحكم من سياسة وحسن تدبير وإشفاق على الرعية وقهر للأعداء، ولذلك كانت تجري عليهم الهبات والصلات والجوائز. وبعبارة أخرى لقد كان الشعراء وسيلة دعائية للأمير الحمداني يتغنون بانتصاراته ويسوغون هزائمه ويدعون الناس إلى نصرته.

وخلاصة القول إن بلاط الأمير الحمداني ضم أعظم شعراء العربية من مختلف الأوطان وكانوا يتسابقون في مدح الأمير، وليس من شك في أن شخصيته هي التي جمعت هذا العدد الفريد من الشعراء في صعيد واحد فما أن قضى الأمير نحبه حتى تفرق هذا الجمع وانفرط هذا العقد وانتثر هؤلاء الشعراء يضربون في بقاع الأرض

شرقاً وغرباً(١٣٢).

وبالإضافة إلى كرم الأمير وسخائه كان ذوقه الفني وتقديره للشعر الجيد يدفع الشعراء لقصد بلاطه وعرض فنهم عليه.

وتدل الدلائل كلها على دقة حسه الأدبي وذوقه الفني الذي يقول فيه المتنبي:

علـيمٌ بأسـرار الّـديانات واللغـى لَهُ خطَراتٌ تفْضَحُ النّاسَ والكُتبا

كما أن حب المنافسة كان يحفز الشعراء إلى أن يقصدوا حلب حاضرة الأمير التي كانت تموج بالشعراء والأدباء والعلماء وذلك من أجل الحصول على التفوق والغلبة، ويضاف إلى هذا أن سيف الدولة نفسه بطلُ عظيم وفارس شجاع ومجاهد ذاد عن حمى الإسلام والدين فكان كل هذا باعثاً للشعراء إلى التغني بانتصاراته وبطولاته والحصول على عطاياه وهباته. ولذلك كثر الشعراء في بلاط سيف الدولة كثرة نادرة لم يجتمع قط بباب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر(١٣٣).

ويذكر الصفدي أن الناس كانوا يسمون عصره وزمانه «الطراز المذهب» لأن الفضلاء الذين كانوا عنده والشعراء الذين مدحوه لم يأت بعدهم مثلهم: خطيبه أبن نُباتة، ومعلمه ابن خلدون، وطباخه كشاجم، والخالديان خزان كتبه، والمتنبي والسّلاَّمي والوأواء والببغاء وغيرهم شعراؤه(١٣٤).

وربما قل في الملوك من مدح بمثل ما مدح به سيف الدولة حتى إن كلا من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد السميساطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت(١٣٥).

شعره:

كان سيف الدولة أديباً شاعراً يحب الشعر ويطرب لسماعه ويروي له شعر جميل يدل على شاعرية موهوبة ومن محاسن شعره وصفه قوس قزح وقد أبدع فيه(١٣٦).

وساقٍ صَبِيحٍ للصبوحِ دَعَوْتُهُ فَقَامَ وَفِي أجفانه سنة الْغَمْضِ

يطوفُ بِكَاسَاتِ الْعَقَار كَأَنْجُمٍ فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضٍّ عَلَيْنَا ومنفضِ

وَقَـدْ نَشَـرَتَ أيـدُي الْجَنُـوبِ مطارفـاً عَلَـى الجَـوِّ دكنَـا وَالحَواشِـي علـى الأرْضِ

يُطَرِّزُهَـا قَـوْسُ الْغَمَـامِ بأصـفرٍ عَلَـى أحْمَـرٍ فِـي أخْضَـرٍ تحـتَ

مبـــــيضِ

كَأذْيَـالِ خـودِ أقبِلْـتِ فِـي غَلائِـلِ مُصَـبَّغَةٍ وَالْـبَعْضُ أقصَـرُ مِـنْ بَعْـــضِ

ومن شعره الجميل في صباه قوله[١٣٧]:

أقبَلَـــهُ عَلَـــى جَـــزَعِ كَشُـــرْبِ الطـــائرِ الفَـــزِعِ

رَأى مَـــــاءً فأطمعـــــه وَخَـــافَ عواقـــبَ الطَمَـــعِ

وَصَـــادَفَ فرصـــة فـــدنا ولـــم يَلتَـــذ بـــالجَزَعِ

واغلب المأثور من شعره غزل وسبب ذلك فيما أعتقد راجع لحبه لفتاه بيزنطية سابية الحسن والجّمال، وقد ذكرها الثعالبي فقال: «ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم لا يرى الدنيا إلاّ بها، ويشفق من الريح الهابة عليها، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره.

وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها» وقال[١٣٨].

رَاقَبَتنِـي الْعُيُـونُ فَيـك فَأشْفَقْـ ـتُ وَلَـمْ أخْـلُ قـطَ مِـنْ إشْـفاقِ

وَرَأيْـتُ العَـذُولَ يَحْسُـدُنِي فِيـ ـكَ مُجِّدَا يـا أنفَـسَ الأعـلاقِ

فتمنيــتُ أن تَكُـــونِي بَعيـــداً وَالـذِي بَيْنَنَـا مِـنَ الـودِ بـاقِي

رُبَّ هَجْرِ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ هَجْرِ وَفِـرَاقِ يَكُـونُ خَـوْفَ فـراقِ

ويقول ابن خلكان إنه رأى أن هذه الأبيات المذكورة بعينها في ديوان عبد المحسن الصوري ولا يرجح نسبتها لأحد منهما[١٣٩].

وله غزل رقيق أيضاً كقوله[١٤٠].

تجَنّى عَلِيَّ الذنبَ والذنبُ ذَنْبَهُ وَعَاتبَنِي ظَلْمًا وَفِي شِقَهِ العُتبُ

وَأعْرَضَ لَمَّا صَارَ قَلْبي بِكَفَهِ فَهَلا جفَانِي حِينَ كَانَ لِي الْقَلْبُ

إِذَا بـرمَ الْمَـوْلَى بِخِدْمَـةِ عَبْـدِهِ تَجَنّى لَهُ ذَنْبًا وَإِنَّ لَمْ يَكُنْ ذَنْبُ

ومن بديع غزله قوله[١٤١]:

قَـدْ جَـرَى فِـي دَمْعِـهِ دَمُـهُ فـــإلى كَـــمْ أنـــتَ تظلَمـــهُ؟

رُدَّ عَنْـه الطـرف مِنْـكَ فَقَـدْ جرَحتـــهُ مِنْـــكَ أسْـــهُمُهُ

كَيْـفَ يَسْـتَطِيعُ التجلـدَ مـنْ خَطِـــرَاتُ الـــوَهْمِ تؤلمـــهُ؟

ومن بديع خياله قوله[١٤٢].

كَأنّمَـا النـارُ والرمـادُ مَعًـا وضـووهما فِـي ظَلامِـهِ يُحجـبُ

وَجْنَـةَ عَـذْرَاءُ مسســها خَجِـلٌ   فَاِسْـتَتَرْتِ تحـتَ عَنْبَـرِ أشْـهَبُ

وقد قال في أخيه ناصر الدولة عن وحشة جرت بينهما، وقد كان ناصر الدولة شديداً عليه لأنه يخشاه ويتوجس منازعته في إمارة الموصل(١٤٣).

رُضِيتِ لَكَ العُلْيَا وقد كنتُ أهلها   وَقَلْتُ لهم ما بيني و بين أخِي فَـــرْقُ

و لم يكُ بي عنها نكولٌ وإنما   تجافَيت عَنْ حَقي فتم لك الحَقُّ

وَلا بــد لـــي مـــن أكُـــون مصـــلياً(١٤٤)   إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وقد أنكر بعض المؤرخين جل الأشعار المنسوبة إلى سيف الدولة. قال ابن النديم فينسب إلى سيف الدولة أشعار كثيرة لا يصلح منها له غير بيتين، ذكر أبو القاسم الحسن بن علي المغربي كاتبه ـ وهو جد الوزير أبي القاسم المغربي ـ أنهما لسيف الدولة ـ ولم يعرف له غيرهما. وكتب بهما إلى أخيه ناصر الدولة وقد مد يده على شيء من بلاده المجاورة له من ديار بكر وكانت في يد أخيه(١٤٥).

لسْتَ أجَفْو إذَا جُفِيتَ وَلا أتــ   ـرك حقاً عَلِيَّ فِي كُـلُّ حـالِ

إنمـا أنْـتَ وَالِـدٌ وَالأبُ الجَـافِي   يُجَـازِي بالصَّـبْرِ وَالاحتِمَـالِ

ونرى أن سيف الدولة كان شاعراً رقيقاً لا يخلو شعره من عاطفة وحساسية وأغلب شعره الذي وصلنا يكاد لا يتعدى ما رواه الثعالبي في اليتيمة وجلّه في الغزل ولم يؤثر لسيف الدولة ديوان. وعلى ذلك يعد شاعراً مقلاً، وإن كان الثعالبي في حديثه عن شعره يعنون له بقوله: "ملح من شعر سيف الدولة" وهذا قد يدل على أن له شعراً كثيراً غير ما ذكره صاحب اليتيمة.

نقده:

وبالإضافة إلى شاعرية سيف الدولة عرف عنه أنه كان صاحب نظرات نفاذة ومعايير فنية في النقد وكان ذا باع طويل في العلم والأدب وذا مقدرة كبيرة على إدارة المجالس الأدبية وتوجيه النقد الصائب.

ولقد كان أديباً بليغاً وكاتباً متمكناً ومثال ذلك كتابه إلى أبي فراس «كتابي ويدي في الكتاب، ورجلي في الركاب، وأنا أسرع من الريح الهبوب، والماء في الأنبوب»(١٤٦).

ولقد كان مجلسه في حلب قليل النظير فالشعراء والأدباء في مجلسه كانوا

يثيرون الموضوعات المتنوعة ويسهم فيها سيف الدولة ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ويجزل العطاء لمن أجاد، فحيناً يتذاكرون الشعر القديم وتارة يسألهم إجازة شعر ومرة يناقشهم في مسألة نحوية أو مسألة لغوية حسبما اتفق(١٤٧).

استنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها:

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْمَ تأتي العَزَائِمُ ... وتأتي عَلَى قَدْرِ الكرامِ المكارمُ

وكان معجباً بها كثير استعادة لها فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها فلما بلغ قوله:

وَقَفْتَ وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقَفٍ ... كأنكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نائِمُ

تمر بكَ الأبطال كلمى هزيمة ... وَوَجْهُكَ وضاحٌ وثغرُكَ بَاسِمُ

فقال الأمير:

قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتُقِدَ على امرئ القيس بيتاه:

كأني لَمْ اركَبْ جَوَادًا لِلَذة ... ولم أتبْطَنَ كَاعِبًا ذاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أسبأ الزّق الرَّوِي وَلَمْ أقُلْ ... لِخَيْلِي كُري كرةً بَعْدَ إجْفَالِ

وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين وكان ينبغي لأمرىء القيس أن يقول:

كَأنّي لَمْ اِرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أقَلْ ... لخيلى كري كرةً بَعْدَ إجْفَالِ

وَلَمْ أسبأ الزّق الرَّوِي لِلَذَةِ ... وَلَمْ أتّبطن كاعبًا ذات خَلْخَالِ

ولك أن تقول:

وَقَفت وَمَا فِي المَوْتِ شَك لوَاقف ... وَوَجهكَ وَضّاحٌ وَثَغْرُكُ بَاسِمُ

تَمْرٌ بِكَ الأبطالُ كلمى هَزيمَة ... كأنكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ

فقال: أيد الله مولانا أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزّاز يعرف جملته، والحائك يعرف جملته وتفاريقه لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة وشراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت اتبعته بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية: فقلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها.

فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار (١٤٨).

وهذا يدل على أن سيف الدولة قد اقتنع بحسن تخريج المتنبي وأن الأمير يتمتع بذوق فني رفيع:

وكان الأمير يعرف درجات الحسن في فن شعرائه وكان يميل إلى أبي العباس النامي ميلاً شديداً إلى أن جاءه المتنبي فقدمه عليه فغاظ ذلك أبا العباس وعاتب الأمير لماذا يفضل عليه المتنبي؟

فامسك عن جوابه وعندما ألحَّ عليه مطالبه بالجواب قال لأنك لا تحسن أن تقول كقوله:

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرَ مُفْتَخِرٍ وَقَـدْ أغـذَّ إِلَيـه غَيْـرَ مُحْتَفِـلِ

وكان السّريّ الرفاء يحسُد المتنبي على منزلته الرفيعة عند الأمير فطلب منه قصيدة من غرر قصائد المتنبي ليعارضها له ويتحقق أنه أركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها:

لِعَينك مَا يَلْقَى الفؤَادُ وَمَا لَقي وللحُب مَا لَمْ يَبْقَ مِنْه وَمَا بَقِيَ

قال السريّ: فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة، فلم أجدها من مختارات أبي الطيب لكني رأيته يقول في آخرها عن ممدوحة:

إِذا شَاءَ أنْ يَلْهُوَ بِلِحْيَةِ أحْمَقٍ أراهُ غُبَـارَي ثَـمَّ قَـالَ لَـهُ الْحَـق

فقلت: والله ما شاء إلا إلى هذا وأحجمت عن معارضة القصيدة(١٤٩).

ومن مظاهر حبه للأدب سعة اطلاعه وحسن ذوقه أنه كثيراً ما كان يتمثل بأبيات قديمة وتعجبه أبيات يرددها أو معنى يستجيده فيطلب من الشعراء أن يجيزوها أو يقولوا على قافيتها فمرة مثلاً ورد على خاطره بيتان للعباس بن الأحنف وهما:

أمَنـي تخـافُ انتِشَـار الحَـديثِ وَحَظِّـي فِـي سِـتْرِهِ أوْفَـرُ

ولَـوْ لَـمْ أصُـنْهُ لبقيـا عَلَيـ ـكَ نظَـرْتُ لِنَفْسـي كَمَـا تنظَـرُ

واستحسن المعنى فأرسل رسولاً مستعجلاً لأبي الطلب المتنبي ومعه رقعة فيها البيتان يسأله إجازتهما فقال المتنبي أبياته المشهورة(١٥٠).

رضَـاك رضَـاي الـذِي أوْثِـرُ وسِـرُّكُ سَـرِّي فَمَـا أظْهِـرُ

وجاء في كتاب الكنايات للجرجاني: سمعت الطبري يقول كنت يوماً بين يدي سيف الدولة بحلب فدخل عليه ابن عم له فاستبطأه الأمير وقال له: أين كنت اليوم وبما اشتغلت فقال له: أيد الله مولانا حلقت رأسي وأصلحت شعري وقلمت أظافري

فقال له: لو قلت أخذت من أطرافي لكان أوجز وأبلغ(١٥١).

وقال ابن خالويه: دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لي: أقعد، ولم يقل أجلس فتبينت بذلك أعلاقة بأهل الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم اقعد وللنائم والساجد أجلس(١٥٢).

ومما يدل على ثقافة سيف الدولة الواسعة وعنايته الكبيرة بالأدب وتوجيهاته النقدية الصائبة أنه كتب إلى أبي عبد الله الحسين بن خالويه يسأل عن دمشق هل يقال فيها دمشقةٌ أم لا ؟ فأجابه دمشق اسم هذه المدينة ليست عربية فيما ذكر ابن دريد، إنما هي معربة ولا يقال إلا بغيرها، فأما الدمشقية فالسرعة في المشي يقال دمشق يُدَمَشِقُ دمشقةٌ ودمشاقاً إذا أسرع ـ وكل سريع دَمشقَ.

فأعاد سيف الدولة الرقعة وقد وقع فيها: مر بنا في كتاب قال عبد الرحمن بن الجمحي وهو بعسكر يزيد بن أبي سفيان عند حصارهم دمشق:

أبلــغَ أبــا سُــفْيانٍ عَنّــا بأننَــا عَلَــى خَيْــرِ حــالٍ كَــانَ جَـيْشٌ يَكُونهَــا

وأنَـا عَلَى بَابي دِمَشقَةٍ نرتمي وَقَدْ حَانَ مِنْ بَابِ دِمَشْقَةٍ حينُهَا

وفي الرقعة أيضاً أن الناقة السريعة يقال لها دمشقٌ والمرأة السريعة اليد في العمل.

فكتب إليه أبن خالويه: هذا جائز للشاعر ولا سيما إذا يقصدُ بدمشقَ إلى مدينة فزادها هاء تأكيداً للتنانيث، كما أن يقال عقرباً مؤنثة بغير علامة التأنيث والعُقربان ذكرها(١٥٣). فقالوا عقربة تأكيداً، فكذلك دمشقُ ودمشقة.

فبعث إليه سيف الدولة يستحضره فلما مثل بين يديه قال: أيها الأمير رُبَّ عِلم كنتَ سببه وقد استفدتُ دمشقةَ، إلا أنه في النحو كما ذكرت والعرب تزيد المذكر بياناً كما قال النبي ـ ﷺ «ابن لبون ذكر» ـ وتزيد المؤنث تأكيداً مثل "نعجة" أنثى وذكر كلاماً غيره(١٥٤).

إن هذه الأمثلة التي أوردناها تدل دلالةٌ بينةٌ واضحة على شاعرية سيف الدولة وتذوقه للأدب وقدرته على النقد والتمييز. فلذلك لا عجب أن يكثر الشعراء في بلاطه وأن يكون رحابه منتدى الأدباء والعلماء، فوفد على حلب الشعراء من شتى الأمصار والأصقاع يقصدون الأمير الفارس والفتى الشاعر ليستظلوا بظله ويعيشوا في كنفه.

الفصل الثالث

ما تبقى من شعره

قافية الهمزة

(١)

قال سيف الدولة: الكامل

١- عَذَلَ الْعَوَاذِلُ حَوْلَ قَلْبِ التائهِ وَهَوَى الأحبَّةِ مِنْه فِي سَوْدائِهِ

٢- يَشْكُو الملاَمَ إِلَى اللوائمِ حَرَّهُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلُمْنَ عَنْ بُرحائِهِ

التخريج:

رياض الألباب بمحاسن الآداب: ص ٨٣.

- قال السيوطي إن سيف الدولة أمر المتنبي إجازة هذين البيتين. فقال المتنبي وأجاد(١٥٥).

القلْـبُ أعْلَـمُ يـا عَـذُولِ بَدائِـهِ وَأحَـقُ مِنْـكَ بِجَفْنِـهِ وَبِمَائِـهِ

فَوَمَنْ أحبُّ لأعْصينَكَّ فِي الْهَوَى قَسَـمًا بِـهِ وبحسـنه وَبَهَائِـهِ

أأحِبُّـهُ وَأحِـبُّ فِيـه ملاَمَـة إنَّ الملاَمَـة فِيـه مِـنَ أعدائـهِ

إن المُعـينَ عَلَـى الصَّـبَابَةِ وَالأسَـى أولـى بِرحمـة ربـه ورجائـه

مَهْلاً فَـإن الْعَـذْلَ مِـنْ أسْـقَامِهِ وترفقـاً فالسـمع مـن أعضـائه

لا تعـذر الْمُشْـتَاقَ فِـي أشـواقه حَتّى يَكُون حَشاك حَشْوً حَشائه

إن الْقَتِيـلَ مُضَـرَّجَا بِدُموعِـهِ مِثْـلُ الْقَتِيـلِ مضـرجاً بِدِمائِـهِ

وَالعِشْقَ كالمعشوق يعذب قرْبُهُ للمُبْتلَـى وَيُنَـالُ مِـنْ حَوْبائِـهِ

لَـوْ قَلْـتَ للـدَّنفِ الحَـزِينِ فَدَيْتُـهُ ممـا بـهِ لأغرتـهُ بفِدَائِـهِ

قافية الباء

(٢)

وقال: الطويل

١- مقيم على هجري كأني مذنب   فما تنفع الشكوى إليه ولا العتبُ

٢- تجنّى علي الذنب والذنب ذنبه   وعاتبني ظلما وفي شقه العتبُ

٣- إذا برم المولى بخدمة عبده   تجنى له ذنبا وإن لم يكن له ذنبُ

٤- وأعرض لما صار قلبي بكفه   فهلا جفَاني حين كان لي القلبُ

التخريج:

وردت الأبيات:٢، ٤، ٣، في اليتيمة ووردت الأبيات: ٢،٣،٤ في كتاب طراز المجالس: ص ١٨٣. وفي كتاب إعلام البلاء بتاريخ حلب الشهباء: ص ٢٧٧، وتاريخ الطبري: ١١: ٤١٢، ووفيات الأعيان: ٣: ٤٨٣، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢: ٣٦٢، وورد البيتان : ٢،٣، في الدر الفريد: ٥، ١١٨، وكذلك البيتان: ١، ٤، في ٣: ١١٢، ووردت الأبيات جميعا في الدر الفريد: ١: ٣٠٦، وورد البيتان: ١، ٤، في كتاب المنتخل المخطوط ورقة: ٩١ والأبيات: ١،٣،٤ في النجوم الزاهرة: ٤: ١٧. وفي الوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٦.

وورد البيت الثالث في التمثيل والمحاضرة: ص ٢٢٢.

٢. في تاريخ الطبري: «وفي جنبه العتب بدلاً من وفي شقه العتب».

□

(٣)

وقال في وصف كانون النار: **المنسرح**

١- كأنمــا النــارُ والرمــادُ مَعــاً وَضَــوْؤُهَا فِــي ظَلامِــهِ يُحْجَــبُ

٢- وجنْــةٌ عَـذْرَاءُ مَسَّـهَا خَجَـلٌ فَاسْـتَتَرَتْ تَحْـتَ عَنْبَـرٍ أَشْــهَبُ

التخريج:

اليتمية: ١: ٣٤، والوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٧،

وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ١: ٢٨٣ ونهاية الأرب: ١: ١١٩.



(٤)

وقال: الخفيف

١- راكــبٌ روْعَــه كخــابط ليــلٍ   يُخْطــئُ الأمــر مــرةً ويُصْــيبُهُ

التخريج:

الدر الفرد: ٣: ٢٩٦

(٥)

وقال **الطويل**

١- فلما أتيناهم لقونا بَمرْحَبٍ كـــأنهم لا يعرفـــونَ لنـــا ذنبـــا

التخريج:

الدر الفريد: ٤: ٢١٩

قافية الحاء

(٦)

وَقَالَ يَصِفُ مِخَدَّةً: **من الرجز المجزوء**

١- نُمُرَقَـــةٌ مِنْهَـــا اسْـــتَفَا دَ الزَّهْـــرُ أصـــنافَ المُلَـــحْ

٢- تلْمَـــعُ فِيهَـــا العَـــيْنُ مِـــنْ رِيـــشِ الطَّـــوَاوِيسِ لُمَـــحْ

٣- كأنمـــــا دَار عَلـــــى ســــمائها قَـــوْسُ قُـــزَحْ

التخريج:

الوافي الوفيات: ٢١: ١٩٦.

قافية الدال

(٧)

وقال: **البسيط**

١- قُـمْ فَاسـقني بَـيْنَ خَفَـقَ النَّـايُ وَالعُـــــــــــــودِ **ولا تَبـعْ طيـبَ موجـود بمفقـودِ**

٢- نحـن الشـهود وخَفـق العُـودِ خَاطِبُنَـــــــــــــا **نزوَّج ا بن سحاب بـنت عنـقودِ**

التخريج:

لطائف اللطف، أبو منصور الثعالبي، تحقيق عمر الأسعد، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٨)

وقال: الكامل

١- سـوق المكـارم آذنـي بكسـاد	شـغل المكـارم عنـك بِالأحقـاد
٢- أأخـي ومـا أحلـى دعـاءك يـا أخـــــــــــــــي	هـذا وقـد جرحـت مُـداك فـؤادي
٣- أتضيمني وأبي أبوك وإنما	التفضـــيل بالآبـــاء والأجـــداد
٤- وبلادك الدنيا ولم تـجدب ولا	اسـتوبلتها فلـم انتجعـت بـلادي
٥- يــا طــارق الغايــات غيــر محــــــــــــــاذر	إيـــاك فهـــي مكـــامن الآســـاد
٦- الآنَ أَعْذرُ حَاسِدِي وَحُجَّتِي	في ذاك أنك صرت من حسادي

التخريج:

بغية الطلب في تاريخ حلب: ١٠: ٤٥٨٦

- جاء في بغية الطلب أن الشيظمي قد حضر مجلس سيف الدولة متأخراً فأنشده سيف الدولة هذه الأبيات.

ولقد وردت الأبيات: ٢، ٣، ٤ في ديوان الببغاء عبد الواحد بن نصر المخزومي في الصفحة الخامسة والسبعين، والذي سبق لي أن حققته ونشرته في دار الحامد بعمان سنة ٢٠٠٤م، ونسبت الأبيات إلى الببغاء.

٤- استوبل: كره أو استعذر.

قافية الذال

(٩)

وقال: الكامل

١- الخمر شمس فِي غلالة لاذٍ تجـري ومطلعهـا مـن الجـرذاذ

٢- فاشــرب علــى رش الغمـــام فيومنــــــــــــــــــــــا في مجلـس البسـتان يـوم رذاذ

٣- وانظـر إلــى لمــع البــروق كأنهــــــــــــــــــا يـوم الضـراب صـفائح الفـولاذ

التخريج:

أحسن ما سمعت ص: ٦٧: ٦٨.

١- الغلالة: بكسر الغين شعار يلبس تحت الثوب لأنه يتغلل فيها أي يدخل. وفي التهذيب الغلالة الثوب الذي يلبس تحت الثياب أو تحت درع الحديد، وغلل الرجل الغلالة أي لبسها.

- واللاذ: ثياب حرير.

قافية الراء

(١٠)

وقال: السريع

١- حـبُ علـي بـن أبـي طالـب للنـــاسِ مقيـــاسٌ ومعيـــارُ

٢- يُخرج ما في أصلهم مثلما يخـــرج غـــشَّ الـــذهبِ النـــارُ

التخريج:

الكشكول: ٣: ١٥.

(١١)

وقال: **الطويل**

١- مقيمـــين فـــي دارٍ نـــروحُ ونغتـــــــــــــــــــــدي **بلا أُهبة الثاوي المقيمُ ولا السَّفرُ**

التخريج:

الدر الفريد: ٥: ١١٨.

قافية الكاف

(١٢)

وقال: مجزوء الكامل

١- يا قصر عَبَّاس بن عُمَرٍو	كَيْــفَ فَارَقَــكَ ابــن عمْــرك
٢- قــد كنــت تغتــال الــدُّهو	ر فَكَيْـفَ غَالَـكَ رَيْـبُ دَهْـرِك
٣- واهـــاً لعــزك بــل لجُــو	دك بــل لمجــدك بــل لفخــرك
٤- يــا قصــرُ ضــعَّفَكَ الزمــا	نُ وحــطَّ مِــنْ عَلْيَــاء فَخْــرِك
٥- ومحــا محاســن أســطرٍ	شــرُفت بِهــن متــونُ جُــذْرك
٦- وَاهـــاً لكاتبهـــا الكريـــ	ـــم وقــدرها المــوفي بقــدرك

التخريج:

وردت الأبيات الثلاثة الأولى في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري: ١: ٢٤٦، ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة في كتاب معجم البلدان: ٤: ٣٥٩.

قافية الضاد

(١٣)

وقال في قوس قزح: الطويل

١- وســــــاقٍ صــــــبِيحٍ لِلصَّـــــبوح دَعوتُــــــهُ فقـام وفـي أجفانِـهِ سَـنةَ الغَمْـضِ

٢- يطـــــوفُ بكاسَـــــاتِ العُقــــارِ كــــا نجــــمٍ فمن بين مُنْقَضٍّ علينا و منفضِ

٣- وقــــد نشــــر أيــــدي الجنــــوبِ مطارفــــاً على الجوِّ دَكناً والحواشي على الأرضِ

٤- يطرزهــــا قــــوسُ الســــحاب بأصــــفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ إثْرَ مُبْيَضِّ

٥- كأذيالِ خودٍ أقبلت في غلائلٍ مُصبَّغةٍ والبعضُ أقَصرُ من بعضِ

التخريج:

وردت الأبيات في اليتيمة: ١: ٣١ وفي غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات: ص ٤٧، وفي خاص الخاص: ص ١٤٢، وفي الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي: ٣: ٢٥٨، وفي النجوم الزاهرة: ص ١٦٤، وفي خزانة الادب: ص ١٧٧، ١٧٨، وفي زبدة الحلب: ١: ١١١، وفي نهاية الأرب: ١: ١١٩، وفي وفيات الأعيان: ٣: ٤٠١، وفي ثمرات الأوراق في المحاضرات: ٢: ٢١٩، وفي المستطرف من كل فن مستظرف: ٢: ٢١٩، وفي كتاب إعلام رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام، المخطوط، ورقة: ٨٢. وفي الجاسوس على القاموس: ٣٨٨، وفي شرح مقامات الحريري: ٩:٢ وفي مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢: ٣٦١.

- قال الثعالبي: ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الأفريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته، وأورد هذه الأبيات.

ولقد نسبت هذه الأبيات إلى ابن الرومي/ووردت بتمامها في ديوانه: ٣: ٤٧٣.

ولقد قال ابن خلكان: إن هذه الأبيات قد قيل إنها لأبي الصقر القبيصي. «وفيات الأعيان: ٣: ٤٠١، ٤٠٢».

قافية العين

(١٤)

وقال: الوافر

١- اقبلُـــهُ علـــى جَـــزَعٍ كُشْـــربِ الطـــائر الفَـــزِعِ

٢- رأى مـــاءً فأطمعـــه وخـــافَ عواقـــبَ الطمَـــعِ

٣- وصـــادفَ فرصـــةً فَـــدَنا ولـــم يَلْتَـــذَّ بـــالجَزَعِ

التخريج:

التخريج: اليتيمة: ١: ٣٢، ووفيات الأعيان: ٣: ٤٠٣، وورد البيت الأول في خزانة الأدب: ص ١٧٧. وردت الأبيات في الوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٦، وفي إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ١: ٢٧٧، وفي نهاية الأرب: ٢: ٥٩.

٣- وفي وفيات الأعيان: «وصادف خلسة بدلاً من صادف فرصة».

(١٥)

وقال: **مجزوء الكامل**

١- ذئـــب تـــراه مصــــلياً فــــإذا تمثّـــل لـــي ركـــعْ

٢- يـــدعو وجُـــلُّ دعائـــه مـــا للفريســـة لا تقـــعْ

التخريج:

معجم البلدان: : ٣١٠.

قافية الفاء

(١٦)

وقال: البسيط

١- كأنما الغـزو مفـروضٌ علـيَّ مـــن يملـــك الأرضَ أوســـاطاً ســـــــــــوى وأطرافـــــــــــــــاَ

التخريج:

المستطرف في كل من مستظرف: ٣: ١٤١: ومن محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء: ٢: ٦٠، والدر الفريد: ٤: ٣٦٥.

قافية القاف

(١٧)

وقال: **الطويل**

١- رضيتُ لك العُليا وقد كنتُ أهلهَا ... وقلتُ لهم ما بيني وبين أخي فـرقُ

٢- ولـم يـكُ بِـي عنهـا نكـولٌ وإنمـا ... تجافيتُ عن حقي فتمَّ لك الحقُّ

٣- ولا بدَّ لي من أكون مُصلِّياً ... إذَا كنـتُ أرضـى أن يكـون لـك السـبقَ

التخريج:

اليتيمة: ١: ٣٣، والكامل في التاريخ: ٧: ٢٥، والنجوم الزاهرة: ٤: ١٧، والبديع في نقد الشعر: ص٢٠٧، وتاريخ أبي الفداء: ٢: ١٠٧، والصداقة والصديق: ص ١٨، والإعجاز والإيجاز: ص ٩٤، وجوهر الكنز: ص ١٨٩، والفرائد الغوالي: ٣: ٢٥٩، وكتاب المنتخل: ٢: ٥٥٣، وفي الدر الفريد: ٣: ٣٢٠.

- قال الثعالبي: أنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما، وأورد هذه الأبيات.

وبين ابن العديم أسباب هذه الوحشة إذ قال: قال ابن نباتة: شجر بين سيف الدولة وأخيه ناصر الدولة منافرة بسبب الرحبة لأنها كانت لأخته وماتت ورام ناصر الدولة استضمامها إلى أعماله، وهي جارية في أعمال سيف الدولة. فقال لنا: قد عرفتم ما كان من ناصر الدولة، فمن حضره في ذلك شيء فليقل. فغدا الشعراء عليه، فأنشدوه، فسمع من كل منهم. وقال: اسمعوا إلى من اختصر واقتصر. وأنشدنا له. «بغية الطلب في تاريخ حلب: ١٠: ٤٥٨٥».

٣- في الإيجاز والإعجاز: «أما كنت ترضى أن أكون مصليا بدلا من ولا بد لي من أكون مصلياً».

- المصلى: هو التالي من خيل السباق، أي الثاني.
- وفي البديع في نقد الشعر/وردت الأبيات على النحو الآتي.

تركت لـك العليـا وقـد كنـت أهلهـا ... وقلت لهم ما بيني وبين أخي فرقُ

ومـا كـان بـي عنهـا نكـول وإنمـا ... تجـاوزت عَـنْ حقـي فـتمَّ لـك الحـقُّ

أمـا كنـت ترضـى أن أكـون مُصَـلِّياً ... إذا كنـتُ أرضـى أن يكون لـك السـبقُ

(١٨)

وقال: **السريع**

١- مَنْزِلُنَــا رحــبٌ لمــن زاره   نحــن سَــوَاءٌ فيــه والطَّــارِقُ

٢- وكــلُّ مــا فيــه حَــلالٌ لــه   إلا الــــذي حَرَّمـــهُ الخـــالقُ

التخريج:

المستطرف في كل فن من مستظرف: ص ١٨٢، وورد البيتان في كتاب مجاني الأدب في حدائق العرب: ٣: ١٤٨، وفي ثمرات الأوراق في المحاضرات: ١: ١٨٣، وفي المختار من كتاب المستطرف في كل من مستظرف: ص ١١٤.

(١٩)

وقال: **الخفيف**

١- راقبتنـــي العيـــونُ فيـــكِ فأشـــــــــــــــفقتُ	ولــم اخــلُ قــطّ مــن إشْــفاقِ
٢- ورأيــتُ العَــذُول يحسُــدُني فِيـــــــــــــــكَ	مُجِــدّاً يــا أنَفَــس الأعْــلاقِ
٣- فتمنيــتُ أن تكــونَي بعيــداً	والــذي بيننــا مــن الــوُدِّ بــاقي
٤- رُبَّ هجْرٍ يكون من خَوْفِ هجرٍ	وفِــراقٍ يكــونُ خــوفَ فُــرَاقِ

التخريج:

اليتيمة: ١: ٣٢، ووفيات الأعيان: ٣: ٤٠٢، والوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٦، وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ١: ٢٧٧، ونهاية الأرب: ٢: ٢٤٢.

قال الثعالبي: يحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات الروم لا يرى الدنيا إلا بها، ويشفق من الريح الهابة عليها، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره. وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها: إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال هذه الأبيات. «اليتيمة: ١: ٣٢».

وقال ابن خلكان إنه رأى هذه الأبيات بعينها في ديوان عبد المحسن الصوري ولا يرجح نسبها لأحد منهما. «وفيات الأعيان: ٣: ٤٠٣».

قافية اللام

(٢٠)

وقال: الخفيف المجزوء

١- لـــك جســـمي تُعِلُّـــهُ فـــدمي لِـــمْ تُحِلُّــــهُ
٢- لـــك مـــن قلبـــي المكـــا نُ فلـــــم لا تُحِلُّــــــهُ
٣- ولـــئن كنـــت مالكـــاً فلـــكَ الأمـــر كلـــهُ

التخريج:

وردت الأبيات الثلاثة في بدائع البدائة: ١١٢، وورد البيتان «١: ٢» في اليتيمة: ١: ٢١، والوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٧، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ١: ٢٧٧، وورد البيت الأول في النجوم الزاهرة: ٤: ١٦.

قال الثعالبي: إن أبا فراس كان بين يدي سيف الدولة وهو في نفر من ندمائه، فقال لهم سيف الدولة أيكم يجيز قولي، وليس له إلا سيدي «يعني أبا فراس» وأورد هذه الأبيات. فارتجل أبو فراس قوله:

أنـــا إن كنـــت ملكـــاً فَلـــيَ الأمـــرُ كُلُّـــهُ

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنبج تُغل ألفي دينار. «اليتيمة: ١: ٢١».

(٢١)

وقال: **الكامل المجزوء**

١- والمــاءُ يفصــلُ بــين زهــر الــروضِ فِــي الشــطَّين فَصْــلا
٢- كبســـاطِ وشْـــيٍ جَـــرَّدتِ أيـــدي القُيـــون عليـــه نصـــلا

التخريج:
اليتيمة: ١: ٣١، وورد البيتان في كتاب الوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٧.

(٢٢)

وقال في أبي القاسم الشيظمي: **الكامل**

١- والشيظمي إذا تنحنح للقرى ... حــك أســنه وتمثّــل الأمثــالا

التخريج:
بقية الطلب في تاريخ حلب: ١٠/ ٤٥٨٤.
قال كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب:
أبو القاسم الشيظمي: اسمه نصر بن خالد، كان شاعراً مجيداً، وهو احد معلمي سيف الدولة أبي الحسن بن حمدان، قرأت في كتاب أبي القاسم عبيد الله بن عبد الرحيم الذي وضعه في أخبار الشعراء. قال: حدثني أبو نصر بن نباتة قال: كان الشيظمي الشاعر أحد معلمي سيف الدولة وكان يتبسط عليه بدالة التربية والصحبة ولم يكن يجلس بحضرته غيره من أبناء جنسه، وكان شيخاً مبدنا لا يستطيع الوقوف وكان سيف الدولة كثيراً ما يمازحه فانشد يوماً وأورد هذه البيت.

(٢٣)

وقال: الخفيف

١- لست أجفو إذا جَفَيتَ ولا أتْـ رُكُ حقـاً علـيَّ فـي كـلّ حـالِ

٢- إنمـا أنـت والـدٌ والأب الجـا فـي يُجـازى بالصَّـبر والاحتمـال

التخريج:

زبدة الحلب: ١: ١٥٢، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، وشذرات الذهب: ٣: ٢٠، والفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى: ٣: ٢٥٩.

جاء في كتاب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء أن ناصر الدولة شقيق سيف الدولة أكبر منه سناً، وأقدم منزلة عند الخلفاء وكان سيف الدولة كثير التأدب معه وجرت بينهما يوما وحشة فكتب إليه سيف الدولة هذين البيتين.

(٢٤)

وقال: **الطويل**

١- فلما التقينا كنتُ أول واجدٍ ولمــا افترقنــا كنــتُ أول ســال

التخريج:

الدر الفريد: ٤: ٢١٩.

(٢٥)

وقال: **الرجز**

١- إن الأميـــر هـــو الـــذي أضـــحى أميـــراً يـــوم عزلـــه

٢- إن زال ســـــلطان الـــــولا يـــة كـــان فـــي ســـلطان عدلـــه

التخريج:

الأمالي الخميسية: ٢:

قال القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر إمام الشافعية ببغداد كنت في مجلس الرئيس أبي الفضل المحلي النيسابوري بنيسابور، وقد قلد الرئاسة، فدخل عليه أبو بكر الخوارزمي مهنئاً، فاستقبله إلى طرف الإيوان، فلما أقعده بجنبه قال أبو بكر الخوارزمي الرئيس إن لم يرأسه السلطان رأسه الإحسان، وإن لم يرأسه الأنفاق رأسه الاستحقاق. ثم قال أنشدني سيف الدولة لنفسه وأورد هذين البيتين.

(٢٦)

وقال: **المديد**

١- قـد جـرى فـي دمعـه دَمُـهُ فــــإلى كـــم أنــــت تظلمُــــهُ

٢- رُدَّ عَنْـه الطَـرْفَ منـك فقـد جَرَحْتَـــــهُ منـــــك أَسُــــهُمهُ

٣- كيـف يسـتطيع التجلـدُّ مـن خَطَـــراتُ الــــوَهْمِ تُؤَلمِـــــهِ

التخريج:

يتيمة الدهر:١: ٣٣، والوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٧، والبداية والنهاية: ١١، ٢٦٣، وتاريخ أبي الفداء: ٢: ١٠٧- ١٠٨، والكامل في التاريخ: ٧: ٢٥ وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ١: ٢٨٣.
قال الثعالبي: أنشد أبو الحسن أحمد بن فارس، قال أنشدني شاعر يعرف بالمتيم لسيف الدولة. وأورد هذه الأبيات.

قافية الميم

(٢٧)

وقال: **الكامل**

١- فـــي الحلـــم مـــا ينهـــى ذوي الأحـــــــــــــــلام	عمـــا يخـــالفُ عـــادل الأحكـــام
٢- يـــا نـــاظري ويعَـــزُّ أن أقـــذي	ويـــا قلبـــي وكيـــف أروعـــه بمـــلام
٣- لأعاتبنـــك مبقيـــاً مستصـــلحاً	قبـــل الظبـــا بعبـــارة الأقـــلام
٤- أســخطت عمــداً فــي عقــوقي دولـــــــــــــــــة	ثبتُّهـــا نصـــراً بحســـن قيـــامي
٥- إن كنـــت ناصـــرها فـــاني ســـــــــــــــــيفها	والقتــل لا يرضــى بغيــر حســام
٦- وبكفـــك الصمصـــام منـــي فارعـــــــــــــــة	حفظا ولا تخدع عن الصمصام
٧- لك في الأباعد من عُداتك شاغل	عمـــا تَعـــقُّ بـــه ذوي الأرحـــام

التخريج:

بغية الطلب: ١٠: ٤٥٨٦.

قال ابن بناته أنشدني سيف الدولة لنفسه وأورد هذه الأبيات «بغية الطلب في تاريخ حلب: ١٠: ٤٥٨٦».

وكتب المصنف بالهامش: يعني الببغاء أنشد ابن نصر. ووردت الأبيات في ديوان الببغاء عبد الواحد بن المخزومي في الصفحة: ١٤٣ ونسبت إليه.

قافية النون

(٢٨)

وقال: **البسيط**

١- كأن ما بيننا ما كان مُلْتئماً   من الصَّفَا وكأن الحب لم يكنِ

التخريج:

الدر الفريد: ٤: ٣٥٦.

(٢٩)

وقال في المغني: الخفيف

١- ومغنٍّ عذب الكلام يجازيـ ـك بما تشتهيه في ميدانك

٢- ألمعي كأن قلبك أضـ ـلاعه أو كلامه في لسانك

التخريج:

أحسن ما سمعت: ص ٦٤.

المصادروالمراجع

١. أحسن ما سمعت، أبو منصور الثعالبي، تحقيق محمد صادق عنبر، ط١، مطبعة الجمهور، القاهرة.

٢. أخبار الدول المنقطعة، جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدري، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢ (١٣٥٥).

٣. الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، مكتبة دار البيان، بغداد ، دارة صعب، بيروت.

٤. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة عز الدين أبو عبد الله بن شداد، تحقيق دومينيك سورويل، دمشق، ١٩٥٣م.

٥. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، ط١، ١٩٢٣م.

٦. الأمالي وهي المعروفة بالأمالي الخميسية، يحيى بن الحسين الشجري الجرجاني ، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م

٧. الإمبراطورية البيزنطية، نبيه عاقل، دمشق، ١٩٦٩م.

٨. بدائع البدائة، علي بن ظافر الأزدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

٩. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف.

١٠. البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر.

١١. بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن النديم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده، تحقيق سهيل زكار، دمشق ، ١٩٨٨م.

١٢. تاريخ أبي الفداء، ط٢، المطبعة الحسينية المصرية، مصر.

١٣. تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم، ط٢، ١٩٤٩م.

١٤. تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان، مطبعة الهلال، ط ٤، ١٩٣١م.

١٥. تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ط٤، بيروت ١٩٦٥.

١٦. تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت

١٧. تاريخ العرب، لويس سيديو، ترجمة محمد عادل زعيتر، طبعة الحلبي، ١٩٤٨م.

١٨. تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، بيروت، ١٩٠٩م.

١٩. تجارب الأمم، لأبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكوية، طبع بغداد.

٢٠. ثمرات الأوراق في المحاضرات، ابن حجة الحموي، بهامش كتاب المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أبي الفتح الأبشيهي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.

٢١. **الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، مطبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ.**

٢٢. **جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن سعيد بن جزم الأندلسي، تحقيق ليفي بروفنسال، طبع دار المعارف، ١٩٤٨م**

٢٣. **جوهر الكنز، نجم الدين إسماعيل بن الأثير، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٣م.**

٢٤. **خاص الخاص، الثعالبي، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦م.**

٢٥. **خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، مصر، ١٢٩١هـ.**

٢٦. **خطط الشام، محمد كرد علي، طبع المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥م.**

٢٧. **دائرة المعارف الإسلامية نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس.**

٢٨. **الدر الفريد وبيت القصيد، مخطوط، تأليف محمد بن أيدمر، إصدار فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، ١٩٨٩م.**

٢٩. **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ابن الشحنة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٩م.**

٣٠. **الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، إبراهيم العدوي، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م.**

٣١. **الدولة البيزنطية، الباز العريني، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٦٥م.**

٣٢. **ديوان أبي فراس، شرح بن خالويه، دار صادر، بيروت، ١٩٥٩م.**

٣٣. **ديوان الببغاء، سعود عبد الجابر، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٤م.**

٣٤. **ديوان المتنبي، شرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعارف، بيروت.**

٣٥. **رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام، أبو العباس أحمد محمد بن علي بابن القاشي، مخطوط.**

٣٦. **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد.**

٣٧. **رياض الألباب بمحاسن الآداب، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق جلال الدين السيوطي، تحقيق يحيى الجبوري، دار مجدولاوي، عمان، ٢٠١٤.**

٣٨. **زبدة الحلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تحقيق سامي الدهان، دمشق، ١٩٥١م.**

٣٩. **سيف الدولة وعصر الحمدانيين، سامي الكيالي، دار المعارف، مصر.**

٤٠. **شرح مقامات الحريري للإمام أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.**

٤١. **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، سعود عبد الجابر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.**

٤٢. **الشعر في ظل سيف الدولة، درويش الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٩م.**

٤٣. **شعر النامي، تحقيق صبيح رديف، مطبعة دار المصري، بغداد، ١٩٧٠م.**

٤٤. صبح الأعشى في صناعة الانشا، القلقشندي، مصر، ١٣٣٣هـ.
٤٥. الصبح المنبي عي حيثية المتنبي، يوسف البديعي، تحقيق السقا ومحمد شتا وعبده زيادة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
٤٦. صورة الأرض لابن حوقل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٤٧. طراز المجالس، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، المطبعة الشرقية، الأحمدي.
٤٨. ظهر الإسلام، أحمد أمين، ط٣، مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٤م.
٤٩. العبر في خبر من عبر، الحافظ الذهبي، تحقيق فؤاد سعيد، الكويت، ١٩٦١م.
٥٠. غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، علي ين ظافر الأزدي، تحقيق محمد ابن زغلول سلام، ومصطفى الجويني دار المعارف، مصر.
٥١. الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي، للسيد المرتضي، محسن آل الشيخ، المجمع العلمي العراقي.
٥٢. فنون الشعر في المجتمع الحمداني، مصطفى الشكعة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.
٥٣. فيض الخاطر، أحمد أمين، ط٥، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٥٩م.
٥٤. القديم والحديث، محمد علي علي، ط١، ١٩٢٥م.
٥٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
٥٦. كتاب المنتحل، أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
٥٧. لسان العرب، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٣٠١هـ.
٥٨. مجاني الأدب في حدائق العرب، الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
٥٩. المختار من كتاب المستطرف من كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد الأبشيهي، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر.
٦٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، عبد الله اليافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٦١. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، تحقيق أحمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.
٦٢. مصر في عهد الإخشيدين، سيدة كاشف، ١٩٥٠م.
٦٣. معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
٦٤. مع المتنبي، طه حسين، ط ١٠، دار المعارف، مصر.
٦٥. مقامات بديع الزمان الهمذاني، بيروت.
٦٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط١، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٧هـ.
٦٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٥م.

٦٨. **نخبة أدبية وتاريخية، ماريوس كانار، طبع الجزائر، ١٩٣٤م.**
٦٩. **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، أبو علي المحسن بن علي التنوخي، طبعة هندية، ١٩٢١م.**
٧٠. **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، لويس شيخو.**
٧١. **نهاية الأرب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.**
٧٢. **الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ج ٢٠، بإعتناء محمد الحجيري، دار النشر فرانز شتاينر ستوتغارت، ١٩٩١م.**
٧٣. **وفيات الأعيان ـ ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.**
٧٤. **يتيمة الدهر، الثعالبي، تحقيق محمد محيي الدين، ط، ١٩٧٣م.**

فهرس الموضوعات

الكتب الصادرة للمؤلف

١. **الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١.**
٢. **شعر ابن منير الطرابلسي. دار القلم، الكويت، ١٩٨٢.**
٣. **شعر الببغاء (عبد الواحد بن نصر المخزومي). مؤسسة الشرق للنشر، الدوحة ١٩٨٣.**
٤. **المدخل لدراسة الفنون الأدبية. دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر ١٩٧٣.**
٥. **النصوص الأدبية، دراسة تحليلية. دار قطري بن الفجاءة، الدوحة قطر ١٩٨٣.**
٦. **شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤.**
٧. **النظام التعليمي وتعليم الكبار في الأردن. دار آرام، عمان ١٩٩٤.**
٨. **ديوان ابن قسيم الحموي. دار البشير، عمان ١٩٩٥.**
٩. **اللغة العربية، دراسات في اللغة والنحو والأدب (بالمشاركة). دار المناهج، عمان ١٩٩٧.**
١٠. **المكتبة العربية والثقافة المكتبية (بالمشاركة)، دار المناهج، عمان ١٩٩٨.**
١١. **فن الكتابة والتعبير (بالمشاركة). دار الحامد، عمان ١٩٩٩.**
١٢. **في رحاب اللغة العربية (بالمشاركة) دار الحامد، عمان ١٩٩٩.**
١٣. **النقد الأدبي، أصوله وتطوره. دار الحامد، عمان ٢٠٠٠.**
١٤. **المدخل إلى دراسة اللغة العربية (بالمشاركة). دار الحامد، عمان ٢٠٠٢.**
١٥. **ديوان الببغاء (عبد الواحد بن نصر المخزومي). دار الحامد، عمان ٢٠٠٤.**
١٦. **اللغة العربية ١٠١ (بالمشاركة). دار المأمون، عمان ٢٠٠٧.**
١٧. **الخليل بن أحمد الفراهيدي، حياته وشعره. دار المأمون، عمان ٢٠٠٨.**
١٨. **ابن رواحة الحموي، الشاعر الشهيد، حياته وشعره. دار المأمون، عمان ٢٠٠٩.**
١٩. **ابن أيدمر، حياته وشعره. دار المأمون، عمان ٢٠١١.**
٢٠. **ديوان ابن شمس الخلافة، دراسة وتحقيق. دار المأمون، عمان ٢٠١٢.**
٢١. **سيف الدولة الحمداني أديبا، دار المأمون، عمان، ٢٠١٦.**

الـهوامش

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ـ لويس شيخو اليسوعي القسم الاول ص (١٢٥).
(٢) جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم (٢٨٦).
(٣) ديوان المتنبي (٤٢٥).
(٤) اليتيمة (١٦/١).
(٥) دائرة المعارف (٣٢٦/٥).
(٦) صبحى الأعشى (١/ ٣٣٧).
(٧) ماردين ـ قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة وأمامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وحانات ومدارس وربط.
(٨) الكامل ابن الأثير (٦٨/٦).
(٩) تاريخ الطبري جـ ١٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص (٣٧).
(١٠) الكامل ابن الأثير (٦٠٩/٦).
(١١) الطبري (٤٣/١٠).
(١٢) شرح ابن خالويه ديوان ابي فراس (٢/ ١٢٥- ١٢٦)
(١٣) الطبري (١٠/ ١١٠).
(١٤) تاريخ الطبري (١٠/ ١٣٥).
(١٥) الديوان (١١١/٢).
(١٦) أبو سليمان داود بن حمدان كان يخترق الرماح فلا تعلق به فسمى بالمرزقن واشتهر بشجاعته ـ الديوان (٣٢).
(١٧) أبو الوليد سليمان بن حمدان صاحب القلب في كل وقعة. ولعلو شأنه سمي بالحرون ـ الديوان (٣٤).
(١٨) تجارب الأمم (١/ ٦٠٥)، ابن الأثير (٨/ ٢٥٤).
(١٩) الطبري (٢٥٢/٨).
(٢٠) تاريخ الأمم والملوك (١٠/ ١٤٠- ١٤١).
(٢١) الطبري (٢٥٢/٨).
(٢٢) ابن خلدون (٤٩٣/٤).
(٢٣) المرجع نفسه: (٤: ٤٩٣).
(٢٤) تاريخ العرب ـ لسيريو ترجمة زعيتر الصفحة (٢٣٦).
(٢٥) الكامل لابن الأثير (٦/ ١٤٤) .
(٢٦) النجو الزاهرة ـ أبو المحاسن (٣/ ٢٢٣).
(٢٧) الكامل لابن الاثير (٦/ ٢٠٧).
(٢٨) الكامل -ابن الأثير حوادث سنة ٣٢٢.
(٢٩) ابن الاثير سنة ٣٢٣.
(٣٠) تاريخ التمدن الإسلامي (٢٥/١).
(٣١) نخبة أدبية وتاريخية ـ كانار ص (١١).
(٣٢) ابن الأثير حوادث سنة ٣٢٣.
(٣٣) تجارب الأمم مسكوية (٢٦/٢).
(٣٤) المرجع نفسه: ٢: ٣٠.

(٣٥) المرجع نفسه ـ ص (٣١).
(٣٦) المرجع نفسه (٢/ ٥٠).
(٣٧) ابن الأثير سنة ٣٣٣.
(٣٨) الكامل- ابن الأثير (٣١٤/٦) تجارب الأمم (٩٤/٢).
(٣٩) تجارب الأمم (١٥٦/٢).
(٤٠) المرجع نفسه (١٧٢/٩).
(٤١) المرجع نفسه (١٧٢/٢).
(٤٢) أخبار الدولة المنقطعة ـ ح- ٥٠.
(٤٣) ميافارقين؟ ـ مدينة جليلة عظيمة الخطر عليها سور من حجارة وفصيل وخندق عميق مصطكة ضيقة الأسوار وبها مسجد وجامع والأشجار والأنهار محتفة بها، صورة الأرض ابن حوقل ص (٢٠٢).
(٤٤) سيف الدولة ـ سامي الكيالي ص (٢٩).
(٤٥) اليتيمة (٨٥/١).
(٤٦) مع المتنبي ص (٢٣٨).
(٤٧) فيض الخاطر- أحمد أمين (٧٥/٤).
(٤٨) مع المتنبي ص (١٨٤).
(٤٩) History of the Roman Empire (1: 373)
(٥٠) نخبة أدبية وتاريخية ـ كارنار ـ ص (٧٣- ٧٤).
(٥١) قلونيه ـ بلد بالروم بينه وبين قسطنطينية ستون بريدا وصله سيف الدولة في غزواته ـ معجم البلدان (٤/ ١٦٨).
(٥٢) الرستاق ـ فارسي معرب والجمع الرساتيق وهي السواد «اللسان مادة رستقة» (١١/ ٤٠٧).
(٥٣) شعر النامي ص (٧٠).
(٥٤) نخبة أدبية وتاريخية ـ كارنار ـ ص (٤٩).
(٥٥) تجارب الأمم ـ (٣/ ٣٩).
(٥٦) انظر ابن الأثير (١٤٩/٨) والصولي ص (٢٢٨).
(٥٧) زبدة الحلب (١/ ١٠٥).
(٥٨) المرجع نفسه (١١٢/١).
(٥٩) نشوار المحاضرة ص (٤٠٣).
(٦٠) زبدة الحلب (١١/١) وابن خلكان (٦٩/٢) وابن الأثير (٣١٢/٦).
(٦١) تجارب الأمم (٤٠/٢).
(٦٢) مصر في عهد الإخشيديين ص (٣٩٣).
(٦٣) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي (٢١١/٣).
(٦٤) نخبة أدبية وتاريخيه ص (٢٩).
(٦٥) تجارب الأمم (٨٣/٢) في زبدة الحلب (١١٥/١).
(٦٦) نخبة أدبية وتاريخية ص (٣١).
(٦٧) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي (٢١١/٣).
(٦٨) مصر في عهد الإخشيديين ـ سيدة إسماعيل ص (٣٥٣).
(٦٩) زبدة الحلب- (١/ ١٠١).

(٧٠) في معجم البلدان لياقوت الحموي (٣١٥/٤) اللجون- بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده وسكون الواو وآخره نون- هو بلد بالأردن وبينه وبين طبرية عشرون ميلاً وإلى الرملةمدينة في فلسطين أربعون ميلاً وهي في الجنوب الشرقي من حيفا.
(٧١) زبدة الحلب (١/ ٣٧٣).
(٧٢) الدولة البيزنطية ـ ص (٤٤).
(٧٣) زبدة الحلب (٢٢٠/١).
(٧٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/(٦/ ٣٦٧).
(٧٥) الدمستق ـ معناها باللغة البيزنطية ـ ضابط البلاط وهي الصفة التي كان يحملها نقفور ـ أخبار الدول المنقطعة ـ خ ـ ٢.
(٧٦) زبدة الحلب (١٢٣/١).
(٧٧) المرجع نفسه (١٢٣/١).
(٧٨) نخب أدبيه وتاريخيه ص (١٠٦).
(٧٩) ديوان أبي فراس ـ شرح ابن خالويه (٢/ ١٤٥).
(٨٠) الأحيدب ـ اسم جبل مشرف على الحدث ـ معجم البلدان (١/ ١٥٧).
(٨١) الدولة البيزنطية ـ السيد العريني ص (٤٢).
(٨٢) أخبار الدول المنقطعة ـ خ ـ (١٥).
(٨٣) زبدة الحلب (١٢٧/١).
(٨٤) المرجع نفسه ص (١٢٧).
(٨٥) الكامل (٢٥٨/٦).
(٨٦) زبدة الحلب (١٣١/١).
(٨٧) الإمبراطورية البيزنطية ـ نبيه عاقل ص (٢٠٤).
(٨٨) في معجم البلدان لياقوت عين زربى ـ بفتح الزاي وسكون الراء وياء موحدة وألف مقصورة ـ يجوز أن يكون من زرب الغنم وهو مأواها وهو بلد بالثغر من نواحي المصيصة ٣/ ١٧٧.
(٨٩) نخبة أدبية وتاريخية ـ كانار ـ ص (١٣٨).
(٩٠) زبدة الحلب (١/ ١٣٣).
(٩١) سيف الدولة وعصر الحمدانيين ـ سامي الكيالي ص (١١٢).
(٩٢) الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم ـ إبراهيم احمد العدوي ص (١٢٦).
(٩٣) زبدة الحلب ص (١٤٢).
(٩٤) نخبة أدبية وتاريخية ـ كانار ـ ص (١٩٥).
(٩٥) ابن الشحنة ص (٤٩).
(٩٦) ابن سعيد الأنطاكي ص (١٠٧).
(٩٧) الدولة البيزنطية د. سيد عريني ص (٤٢٥).
(٩٨) الشعر في ظل سيف الدولة ـ درويش الجندي ص (٨٣).
(٩٩) ديوان أبي فراس (١١/٢).
(١٠٠) الديوان (١٨/٢).
(١٠١) المرط: كساء من صوف ونحوه.
(١٠٢) نشوار المحاضرة ـ أبو الحسن التنوخي (١٠٣/١) ، وديوان الببغاء (١٤٠).
(١٠٣) يتيمة الدهر الطبعة الثانية (٣٦/١- ٣٧).

(١٠٤) ديوان أبي فراس - شرح ابن خالويه (١٤٧/٢).
(١٠٥) تجارب الأمم - (٢/ ٢٠٣).
(١٠٦) زبدة الحلب (١/ ١٤٧- ١٤٨).
(١٠٧) من الأماكن المشهورة في لواء الرها وكانت قصبة ديار مضر، صورة الأرض ابن حوقل ص (٢٢٦).
(١٠٨) الكامل - ابن الأثير (٧/٧).
(١٠٩) المرجع نفسه (٩/٧).
(١١٠) زبدة الحلب (١٤٨/١).
(١١١) العبر في خبر من غبر - الحافظ الذهبي (٢/ ٣٠٦).
(١١٢) أخبار الدول المنقطعة - خ - (٢١).
(١١٣) خطط الشام (٢٢٢/١).
(١١٤) ابن خلكان (٩٩/٢).
(١١٥) يتيمة الدهر (١٢/١- ١٣).
(١١٦) مقامات الهمذاني ص (١٥١).
(١١٧) مع المتنبي ص (١٨٣).
(١١٨) اليتيمة ١:١١.
(١١٩) ظهر الإسلام - أحمد أمين ص (١٧٩).
(١٢٠) اليتيمة: ١: ٢٠.
(١٢١) اليتيمة (٢١/١).
(١٢٢) المرجع نفسه (٢٠/١).
(١٢٣) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ص (٤٦).
(١٢٤) إعلام النبلاء (٢٨٨/١).
(١٢٥) نخبة أدبية وتاريخية: ص (٣٥٠).
(١٢٦) معجم البلدان: (١١٤/١).
(١٢٧) وفيات الأعيان (١/ ٤٦٢).
(١٢٨) عاتكة بنت محمد بن القاسم المخزومية أم الحسن بن محمد عبد الله السلامي شاعرة فصيحة مدحت عضد الدولة ببغداد وتوفيت سنة ٣٦٧.
(١٢٩) نشوار المحاضرة - التنوخي (٥/ ٢٧٠).
(١٣٠) تاريخ الشعوب الإسلامية (٩١/٢).
(١٣١) القديم والحديث - محمد كرد علي ص (١٧٧).
(١٣٢) زبدة الحلب (١٢٣/١).
(١٣٣) اليتيمة (١١/١).
(١٣٤) الوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٥.
(١٣٥) يتيمة الدهر: ١: ١٦.
(١٣٦) اليتيمة (٣١/١).
(١٣٧) المرجع نفسه: ١: ٣٢.
(١٣٨) اليتيمة (١/ ٣٢).
(١٣٩) وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٢).

(١٤٠) اليتيمة (١/٣٢- ٣٣).
(١٤١) المرجع نفسه (١/ ٣٣).
(١٤٢) المرجع نفسه (١/٣٤).
(١٤٣) اليتيمة (١/ ٣٣).
(١٤٤) المصلي: من الخيل الذي يتلو السابق في الحلبة.
(١٤٥) زبدة الحلب (١/ ١٥٢).
(١٤٦) الوافي بالوفيات: ٢١: ١٩٣.
(١٤٧) فيض الخاطر (٤/ ٧٦).
(١٤٨) اليتيمة (١/ ٢١- ٢٢).
(١٤٩) خزانة الأدب - ابن حجة ص: ٢٣١.
(١٥٠) فيض الخاطر، ٤: ٧٥.
(١٥١) أعلام النبلاء، ص ٢٨٥.
(١٥٢) نخبة تاريخية ص ٢٨٦.
(١٥٣) العقرب واحد العقارب من الهوام للذكر والأنثى بلفظ واحد والغالب عليه التأنيث، وقد يقال للأنثى عقربة وعقرباء ممدوداً غير معروف - لسان العرب (٢/ ١١٥).
(١٥٤) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ١: ١٥- ١٦.